الْمُسْتَشْرِقُ جُونْ بِرْتُونْ وَالْمُبَشِّرُ جُلْكرَايْستْ وَالْجَدَلُ بِشَأْنِ عَمَلِيَّةِ جَمْعِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ

تَحْلِيلُ أُطْرُوحَتِهِمَا وَنَقْدهَا

(الْقِسْمُ الثَّانِيّ)

أ.د. عبد الجبار ناجي الياسريّ

العتبة العبَّاسيَّة المقدَّسة/ دار الرسول الأعظم

The Orientalist John Burton and the Missionary Gilchrist, and the argumentation for the gathering process of the Noble Quran.

(Second section)

Prof. Dr. Abdul Jabbar Najji Alyasery

Dar Alrasul Ala'tham/ Al-Abbas (p) Holy Shrine

جون جلكرايست John Gilchrist

تدل القرائن التي جاءت عن المفصل المركزي الذي اتسمت به كتابات المبشر جون جلكرايست التبشيرية على أنها ردّ فعل هذا المبشر على ما كتبه الداعية المسلم من بلدة في جنوب إفريقية وهو الشيخ أحمد ديدات، فكتاباته واقعا كان يراد بها التحاور مع هذا الشيخ ومع نظرائه من شيوخ أهل السنّة بما له علاقة بالقرآن الكريم، لذلك علينا أن نستنتج بإن جلكرايست هو مبشر بالدرجة الأولى، وهو لا يقارن بالمستشرق جون برتون الأكاديمي. وجون جلكرايست أحد المؤلفين المبشرين في الموقع على الإنترنيت والمعروف بلغته وبمقالته التبشيرية والموسوم بـ(Answering Islam، a christian – muslim dialog.)، وبالفعل تماشيا مع منهجه التبشيري فقد كتب كتباً عدّة عالج فيها ذات المحاور التي نضجت عبر تحاوره dialog مع الشيخ ديدات. ومنهجيته هي المنهجية نفسها التي ركّز عليها جلكرايست في كتيبه الصغير الحجم الذي نحن بصدده بخصوص محاججتنا له هاهنا. وقد ألف جون جلكرايست عددا غير قليل من الكتيبات التبشيرية التي هيمنت عليها بشكل مباشر المحاور النقاشية بين المسلمين والمسيحيين، ومن بين هذه الكتب الآتي ذكرها:

جمع القرآن، نصّ المصحف القرآني نشره في عام ١٩٨٩. Jam' Al–Qur'an: The Codification Of The Qur'an Text،

محمد والدين الإسلامي. ونشره في عام ١٩٨٤ Muhammad and the Religion of Islam

كيفية مواجهة التحدي الإسلامي ونشر في عام ١٩٩٩. Facing the Muslim Challenge.

المعبد، الكعبة، والمسيح The Temple، The Ka'aba، and The Christ

المسيح في الإسلام والمسيحية Christ In Islam And Christianity

تاريخ النصّ القرآني والكتاب المقدس BibleThe Textual History Of The Qur'an And The Bible

حبّ الله في القرآن والإنجيل BibleThe Love of God in the Qur'an and the Bible

القاب عيسى في القرآن والإنجيل The Titles Of Jesus In The Qur'an And The Bible،

دراسة تحليلية للصليب والهجرة An Analytical Study of the Cross and the Hijrah،

هل ذكر محمد في الإنجيل Is Muhammad Foretold in the Bible

فرادة عيسى في القرآن والإنجيل The Uniqueness of Jesus in the Qur'an and the Bible

ولابُدّ لنا من استهلال هذا الفصل بمجموعة إثارات كانت في البداية قد تمّت إثارة عدد منها في الفصول الأولى، وهي في الحقيقة إثارات بصياغة تساؤلات مباشرة، وبخصوص هذا الموضوع المهم جدا في الدراسات الدينية والعقيدية والتاريخية. في البداية أقول لو أن الأمور التي رافقت عملية جمع القرآن قد انطلقت من الإسلام، وفي خدمة الإسلام الحنيف، وتطبيقا لمبادئه القويمة، لما تجرأ أمثال هؤلاء المستشرقين والمبشرين وغيرهم على التمادي في فرض الفرضيات والاحتمالات في المشروع الذي نهد بأعبائه الخلفاء الراشدون الأول والثالث؛ وهو المشروع الذي كانوا قد حسبوا نتائجه حسابا معكوسا. فلو كانت البداية في مشروعهم في عملية جمع القرآن الكريم على غيرما ألفناه من حكاية واقعة اليمامة، وتلك المتعلقة بحروب كانت أسباب اندلاعها وتداعياتها ونتائجها غير محسومة لصالح الدين الإسلامي، بل من المحتمل جدا فإنها كانت لصالح

المخططين لها من الصحابة الأول؛ إذ الذي حدث لمالك بن نويرة، على سبيل المثال، كان وصمة عار في جبين خالد بن الوليد الذي سفك دم مسلم كان شهيدا يصلي صلاة الإسلام لا صلاة المرتد مسيلمة الكذّاب. والأنكى من ذلك فإنه اتّبع شهواته وغرائزه الجنسية الجامحة فاغتصب زوجة الشهيد المسلم الجميلة ولما تكتمل عدة زوجها المقتول غدرا، والذي كان قتله إثما وعدوانا عظيمين.

ومثال آخر حول مسألة هذا التضارب الفكري والمعرفي بين أن يكون هدف الحدث التاريخي للعبرة في اتّخاذ القرار في الحكم العادل المتزن وبين أن يكون مجرد عامل تلذذ وعامل تبجح شخصي؛ والمثال الآخر هو الحدث الذي يرجع إلى هذه المرحلة الأولى من التدوين التاريخي الإسلامي أيضا وفي فترة خلافة أبي بكر. أما عناصر الحدث فمتعلقة بالحقل ذاته (جمع القرآن أو جمع المصاحف) وهما الخليفة أبو بكر وعمر بن الخطاب قبل توليه الخلافة. إذ ينقل البخاري في صحيحه وتتكرر مفهومية هذا الخبر ذاته في مصادر أخرى سنيّة، خبرا بخصوص العوامل الأساسية التي دفعت الخليفة عمر بن الخطاب الذي أوصى بالأهمية القصوى لعملية جمع القرآن التي انتهت بأن يوليان إنجاز مهمة هذه العملية الرائدة إلى الصحابي زيد بن ثابت. إنها آلية تنفيذية جازمة وحاسمة بالفعل، غير أن قراءة تفكيكية لمحتوى الخبر هذا ستثير نوعاً من الكدورة. جاء نصّ الرواية عند البخاري بسند ابن شهاب الزهري عن عبيد بن السباق ونصّه «قال زيد قال أبو بكر – بعد أن اجتمعت آراء الخليفة وعمر على الاختيار أي اختيار زيد قالا له» إنك رجل شاب عاقل لا تنهمك [وجاء في رواية أخرى لا نتهمك وهي ربما الأصح وإن الأخيرة هي بسبب سوء في النسخ أو الطباعة] وقد كنت تكتب الوحي لرسول الله صلى الله عليه – وآله – فتتبع القرآن فأجمعه، فو الله لو كلفوني نقل جبل من الجبال ما كان أثقل على مما أمرني من جمع القرآن».

ففي هذا النصّ إشكاليات أساسية، فما الذي كان يقصده الخليفة إنه أمر زيدا بجمع القرآن لأن زيدا كان شابا عاقلا؟ أيعني هذا أنّ كتّابَ الوحي الآخرون ليسوا شبابا؟ بل ليسوا بعقلاء؟، ومتى كانَ الشابُ عاقلاً وعبد الله مسعود الصحابي الجليل وأبي بن كعب وهما من الشيوخ غير عقلاء وغير عدول في هذه المسألة التي في حقيقتها لا تحتاج إلى الشباب بقدر ما تحتاج إليه من الشيوخ الذين خبروا صحبة الرسول صلى الله عليه وآله أو بالأحرى بحاجة إلى ابن عمه، وكاتب وحيه الإمام علي عليه السلام.

وبحسب رواية البخاري عند السيوطي نقلاً عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال سمعت النبي صلى الله عليه وآله يقول: «خذوا القرآن من أربعة عبد الله بن مسعود وسالم ومعاذ وأبي بن كعب» أي تعلموا منهم. وكان ثلاثة من هؤلاء الصحابة على قيد الحياة زمن الخليفة الأول ما عدا سالم بن معقل مولى أبي حذيفة الذي قتل في وقعة اليمامة. أليس هو – عبد الله بن مسعود – ممّن قال فيه رسول الله «من سرّه أن يقرأ القرآن غضا كما أنزل فليقرأه على قراءة ابن أم معبد».

وروى الأعمش قال: «قال ابن مسعود لقد أخذت القرآن من فيّ رسول الله صلى الله عليه وآله سبعين سورة وإن زيد بن ثابت لغلام في الكتّاب له ذؤابة». فكيف غابت هذه المواصفات العلمية للصحابة المعوّل عليهم بنصّ حديث رسول الله عن ذاكرة الخليفة وعمر؟ والحقيقة المكدّرة الأخرى أن الصحابي زيد بن ثابت قد أسلم مع أهله ولما يتجاوز سنه إحدى عشر سنة، فكيف يكون مؤهلاً لآهلية جمع القرآن؛ لكونه إبّان عهد الخليفة شاباً عاقلاً؟!

يحدثنا البخاري في صحيحه وورد الخبر عند علماء آخرين ما نصّه بخصوص بدء الصحابي زيد عمله في جمع القرآن إذ يقول ما نصّه «فتتبعت القرآن أجمعه من العسب واللخاف وصدور الرجال، حتى وجدت آخر سورة التوبة مع أبي خزيمة

الأنصاري، لم أجدها مع أحد غيره، والآية الكريمة هي ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾[1] حتى خاتمة براءة. وقيل في رواية أخرى عند البخاري في صحيحه أيضا، وعن ابن شهاب الزهري عن إسماعيل وخارجة بن زيد بن ثابت (أي ابن زيد بن ثابت)».

قال: نسخت الصحف في المصاحف، ففقدت آية من سورة الأحزاب [يلاحظ في النصّ السابق آية من سورة التوبة] كنت أسمع رسول الله صلى الله عليه – وآله – يقرأ بها فلم أجدها إلا مع خزيمة بن ثابت الأنصاري [يلاحظ هنا أنَّ زيداً كان أنصارياً أيضا] الذي جعل رسول الله صلى الله عليه – وآله – شهادته شهادة رجلين.

[يلاحظ أن مسألة شهادته بشهادتين لم ترد في نصّ البخاري كدليل على ما كان أبو خزيمة يتمتع به من سمعة ومكانة بين صفوف الصحابة أي شهادته تعادل شهادتين] وهو قوله تعالى: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيْهِ﴾[2].

ولنبق مع صحيح البخاري في هذه النصوص إذ قال في حديثه المرقم (٤٠٤٩) إن ابن شهاب الزهري قد أخبره ابن زيد بن ثابت (أي خارجة) قوله «أنه سمع زيد بن ثابت يقول: فقدت آية من الأحزاب حين نسخنا المصحف [يلاحظ كلمة نسخنا بمعنى زيد وآخرون]، كنت أسمع رسول الله صلى الله عليه وآله [ملاحظة:الجملة غير واضحة تاريخياً] يقرأ بها، فالتمسناها فوجدناه مع خزيمة بن ثابت الأنصاري [يلاحظ لماذا التمسها زيد؟ ثم وجدها مع خزيمة الأنصاري؟] ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيْهِۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ﴾ فألحقناها في سورتها. ولننظر إلى ما قاله البخاري أيضاً في صحيحه رواية عن ابن شهاب الزهري أيضا إن

(١) سورة التوبة، الآية: ١٢٨.

(٢) سورة الأحزاب، الآية: ٢٣.

ابن السبّاق [سبق ذكره عند البخاري وهو عبيد بن السباق أحد شيوخ الزهري الكثر] أخبره نصّ الرواية التي ورد فيها «حتى وجدت من سورة التوبة آيتين [بمعنى آيتين وليس آية واحدة ومن سورة التوبة لا من سورة الأحزاب] مع خزيمة الأنصاري لم أجدها مع أحد غيره...».

ولندقق في رواية البخاري الأخرى التي وصلت عن طريق ابن شهاب الزهري أيضاً عن الليث قال: «قال أبي خزيمة: وقال موسى عن إبراهيم: حدثنا ابن شهاب: مع أبي خزيمة وتابعه يعقوب عن أبيه، وقال أبو ثابت: حدثنا إبراهيم، وقال: مع خزيمة أو أبي خزيمة» [بمعنى أن هناك شكّاً فيمن التمسه زيد بن ثابت ليجد عنده آية من سورة براءة أو آيتين أو آية من سورة الأحزاب أو ما إلى ذلك] في الوقت الذي نقرأ في رواية اعتمدها السيوطي نقلا عن طريق البغوي في كتابه شرح السنّة ونصّها إن زيد بن ثابت شهد العرضة الأخيرة «عرضة القرآن من قبل جبريل عليه السلام على النبي صلّى الله عليه وآله التي بيّن فيها ما نسخ وما بقي، وكتبها لرسول الله صلى الله عليه – وآله – وقرأها عليه وكان يقرئ الناس بها حتى مات، ولذلك اعتمدها أبو بكر وعمر في جمعه».

كيف إذاً نوّفق بين أن يكون قد شهد زيداً العرضة الأخيرة وبين أنه قد فاتته آيات من القرآن الكريم. هذا من ناحية أمّا من الناحية الأخرى فإن المتفق عليه إن زيداً لم يكن شاهداً للعرضة الأخيرة التي عرضها جبريل عليه السلام على رسول الله صلّى الله عليه وآله، وإن عبد الله بن مسعود هو الذي كان شهد القراءة الأخيرة اعتمادا على ما رواه النسائي عن طريق أبي ضبيان قال «قال لي ابن عباس: أي القراءتين أقرأ؟ قلت القراءة الأولى، قراءة ابن أم معبد، قال ابن عباس: بل هي الأخيرة، فإن رسول الله صلى الله عليه وآله كان يعرض على جبريل. قال وعند الحاكم بسند صحيح أن ابن عباس قال: أي القراءتين ترون كان

آخر القراءة؟ قال قراءة زيد بن ثابت. فقال لأن رسول الله صلى الله عليه – وآله – كان يعارض القرآن كل سنة على جبريل، فلما كان السنة، التي قبض فيها عرضه عليه مرتين، وكانت قراءة ابن أم معبد لم ينته أمر هذه الرواية أو القصة المضطربة؛ لأن أبا بكر عبد الله السجستاني له رواية بعضها متداخل مع الرواية في أعلاه وبعضها الآخر منها مختلف عنها. فالرواية التي رواها الزهري عن خارجة بن زيد بن ثابت قال فيها «لمّا كتبت – القول هنا لزيد – المصاحف فقدت آية كنت أسمعها من رسول الله صلّى الله عليه – وآله – فوجدتها عند خزيمة بن ثابت الأنصاري، ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيْهِ﴾ إلى (تبديلا) [يلاحظ الرواية في أعلاه بشأن الآية المفقودة وبشأن الكلمة إلى تبديلا] وكان خزيمة يدعى ذا الشهادتين أجاز رسول الله صلّى الله عليه – وآله – شهادته بشهادة رجلين، قال الزهري وقتل مع علي – عليه السلام – يوم صفين».

ويستمر السجستاني في الموضوعِ نفسِهِ فيعرّج على رواية ثانية للزهري عن خارجة بن زيد الذي قال «لمّا نسخنا – والقول هنا لزيد – المصحف [في الرواية السابقة أن هذا القول كان لخارجة بن زيد] من المصاحف فقدت آية من سورة الأحزاب [في الرواية السابقة غير ذلك] كنت أسمع رسول الله صلّى الله عليه – وآله – يقرأها فالتمستها [سابقا فوجدتها] فلم أجدها مع أحد [في الرواية السابقة فوجدتها من دون أن يلتمسها أو يبحث عنها] إلّامع خزيمة الأنصاري الذي جعل رسول الله صلّى الله عليه وآله شهادته بشهادة رجلين، قول الله تعالى ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيْهِ﴾». انتهى قول زيد من دون ذكر إلى (تبديلا).

ولم يتوقف السجستاني عند هاتين الروايتين فيقول تحت عنوان جديد هو (خبر قوله عزّ وجلّ ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ﴾ الآية في المصحف أن عبّاد عن يحيى بن عبّاد عن أبيه عبّاد بن عبد الله بن الزبير قال: أتى الحارث بن تكرار بن خزيمة بهاتين الآيتين من

آخر سورة براءة ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ إلى قوله ﴿رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ﴾ إلى عمر فقال من معك على هذا؟ قال لا أدري والله إلّا أني أشهد أني سمعتها من رسول الله صلّى الله عليه – وآله – ووعيتها وحفظتها [يلاحظ هنا أن الرجل هو الحارث بن خزيمة لا خزيمة الأنصاري ولعله ابنه والله أعلم]، فقال عمر وأنا أشهد لسمعتها من رسول الله صلّى الله عليه – وآله –، ثم قال: لو كانت ثلاث آيات لجعلتها سورة على حدةٍ فانظروا سورة من القرآن فألحقوها فيها فألحقتها [هنا ربما المقصود الحارث وليس عبّاد بن عبد الله بن الزبير] في آخر براءة [يلاحظ أن الرواية الأولى كانت لزيد وكانت في زمن الخليفة الأول لا في زمن الخليفة الثاني].

أقول: لو أن الخليفة الأول وعمر بن الخطاب قد أخذا الأمر بواقعية وحكمة عادلة ذلك القرآن الذي أظهره الإمام علي عليه السلام وهو يحمله على ظهر الجمل القرآن الكريم الذي ورّثه إياه رسول الله صلّى الله عليه وآله وهو ملفوف بقطعة قماش إلى المسجد الجامع حيث كان فيه جمع من صحابة النبي صلى الله عليه وآله – وآله – ومن بين الصحابة الخليفة الأول وعمر وزيد بن ثابت نفسه، وغيرهم من الأنصار والمهاجرين قائلا لهم: هذا هو القرآن الكريم كما جمعه ورتّب سوره وآياته وناسخه ومنسوخه وأسباب نزوله رسول الله صلى الله عليه وآله لما وقع الرواة الشفاهيون، ولما اقتبس مؤلفو الصحاح، ومؤلفو كتب السيرة والمؤرخون الرواية الشفاهية ليوم اليمامة، ولما ظلّوا في حيرة أمرهم، ولما حفزت صنّاع قرار جمع القرآن والمسلمين على إثارة التساؤلات التي مفادها أإن القرآن كان في أثناء الجمع تنقصه آية أو آيتان أو أكثر من ذلك أو أقلّ من ذلك؟ كذلك لو أن شيئا من هذا قد حدث بالفعل لما نشط الحجاج الثقفي الوالي الذي قتل المسلمين، ولما تجرأ على أن يغير في كتاب الله، وأن يحرّف في كلماته

وتعبيراته الكريمة المقدسة. والأهم من كلّ ذلك لما ألّف هؤلاء العلماء المسلمون الكتب بخصوص اختلاف القراءات بين المسلمين الذين كانوا في جيش الصحابي حذيفة بن اليمان، ولما وجد الخليفة الثالث نفسه منصاعا لنصيحة حذيفة بن اليمان بأن القرآن الذي ألّفته اللجنة الرباعية المكونة من الشباب الذين ربما]بل وهو الأصح[كانوا من غير حفظة القرآن الكريم، والذين استسلموا لما كان يمليه عليهم سعيد بن العاص) فقيه قريش!! كما قيل (وهو بن سعيد بن العاص بن أمية بن عبد شمس القرشي، كنيته أبو عبد الرحمن، مات أبوه يوم بدر في جيش قريش، وهو صحابي صغير مات النبي محمد وله تسع سنين أو نحوها في اللغة العربية على الصحابي زيد. عبد الجبار ناجي) [الصحابي وممّن قرأ القرآن الكريم أو ممّن حفظه] المملى عليه. وبعد كلّ هذه [اللّمات من لمّا (هناك) اللما] الأهم وهي مدار نقاش هذا الفصل؛ أقول لما تجرأ هؤلاء المستشرقون وغيرهم على الطعن في جمع القرآن الأول زمن أبي بكر، ولا مع الجمع الثاني في خلافة عثمان بن عفان. فالمستشرق جلكرايست مثلا يشكك في تسمية بعض السور القرآنية ووجودها التي هي في القرآن الكريم ويزعم أنها غير توفيقية، وقد بنى زعمه هذا على أساس أنَّ بعضها لم يسمّها رسول الله صلّى الله عليه وآله، إنما سميت بذلك من قبل غيره، ومن بين ما أفاد به هذا المستشرق المبشر سورة الإخلاص. على الرغم من أن النبي صلى الله عليه وآله قد تحدّث عن فضائلها مطولا؛ فهي تساوي ثلث القرآن».

أرجع لأقول: إنّ الذين تكلفوا بفضيلة جمع القرآن لو أنهم تداركوا هذه الهنات بتوجيه استفسار، مجرد استفسار، للإمام علي عليه السلام أو للصحابي عبد الله بن مسعود أو للصحابي أبي بن كعب؛ لما تشجع هذا المستشرق وذلك المبشر على التوكيد والثبات على مشروعية شبهته هذه، إذاً فلماذا؟ ألأنّه قرآن رسول الله صلى الله عليه وآله الذي سلّمه لابن عمه الذي كما ذكرنا سابقا قد جزأه إلى سبعة أجزاء والذي قد وردت

بالفعل تسمية السورة باسم (قل هو الله أحد) فهي التسمية التي سمّاها رسول الله: وبذلك نوجه صفعة في وجه المبشر جون جلكرايست John Gilchrist وغيره من الذين هدفوا إلى تشويه عملية جمع القرآن الكريم، وإلى التشكيك في محتواه. ولو رجعنا إلى ما رواه مجاهد ذلك الذي نقله ابن النديم في فهرسته حين عدد سور القرآن الكريم فذكر سورة (قل هو الله أحد)[١].

ولو أننا عدنا إلى تسمية أسماء السور القرآنية في مصحف أبي بن كعب لوجدنا التسمية (الصمد)[٢].

(وتسميتها في مصحف عبد الله بن مسعود (الله الواحد الصمد). فجميع هذه التسميات والأخص منها ما كان زمن رسول الله صلّى الله عليه وآله هي التسمية المتداولة بين المسلمين على عهده عليه أفضل الصلاة والسلام. فالسؤال الجدير، ولكن لا جواب له، وهو: لم عزل الصحابة الخليفةُ الأول وعمر وزيد وهؤلاء من الموثوقين جدا من الصحابة الأول وعلى لسان النبي نفسه، لم عزلوا الإمام علي عليه السلام والصحابة من كتّاب الوحي رضوان الله عليهم؟ ولو أن الصحابي زيدًا قد نصح الخليفة وعمر بن الخطاب بأن ما جمعه الإمام علي عليه السلام هو عين القرآن، ولو استمعوا إلى قوله بأنهم سوف لن يكون باستطاعتهم أن يأتوا بمثله؛ لأنه نتيجة من نتائج العرض الأخير للنبي عليه السلام، والملك جبرئيل عليه السلام، وكما عرضته رواية السيوطي في كتابه (الإتقان) حينما ذكر رأيا لابن أشته في كتابه (المصاحف) نقلا عن محمد بن سيرين حديثه مع عكرمة قائلا: هل ألّف الخليفة وعمر وزيد القرآن كما «نزل الأول فالأول. قال: لو اجتمعت الإنس والجن على أن يؤلفوه ذلك التأليف ما استطاعوا» ويقصد بذلك الجمع الذي قام به الإمام علي عليه السلام؛ ويعلق السيوطي على هذه الرواية بقوله «إسناد حسن ابن الضرّيس

(١) م.ن. صفحة ٣٠.السيوطي؛ الإتقان جزء ١ ص ١٦٩.

(٢) Jam' al-Quran :The codification of

في فضائل القرآن»، وعلق السيوطي تعليقا آخر بعد ذكره رأي ابن أشته قول محمد بن سيرين «وفيه – ويقصد جمع الإمام للقرآن – إنه كتب في مصحفه الناسخ والمنسوخ وإن ابن سيرين قال: فطلبت ذلك الكتاب وكتبت إلى المدينة فلم أقدر عليه»[١].

ولنأخذ ثمة أمثلة جاءت على لسان المستشرق وهو يتحاور مع ثلاثة من العلماء المسلمين الدكتور كوكب الصديق، والباحث عبد الصمد عبد القادر، وثالث اسمه مولانا ديزاي عالم من موطن المستشرق جلكرايست من جنوب أفريقيا. ففي المقدمة وردت أفكار عدّة تعدّ هي المحاور الأساسية لموقف المبشر من القرآن الكريم:

١. يقول المبشر في المقدمة «إن الأصل الإلهي للقرآن لا يمكن حلّه باعتبار طريقة نقله وتوصيله وإنّما تكون بدراسة مضمونه وتعاليمه. وما يهمنا هنا هو فقط استخلاص الدقة التي تم بها تأليفه وجمعه(Introduction – 2D)[٢]. وفي هذا المقطع من كلام المستشرق رأي خطير، فهو لم يعترف بقدسية القرآن، وإنه منّزل من الله سبحانه وتعالى؛ فلماذا؟ وكيف أسّس رأيه هذا؟ ببساطة إنه في الجزء المتمم لقوله، «المهم هو استخلاص الدقة التي تم فيه الجمع والتأليف أو كما عبّر عنه في اللغة الإنجليزية دراسة تعاليمه ومحتوياته»! فتعبير الجمع والتأليف أو التعاليم والمحتويات إشارة إلى جمع الصحابي زيد بن ثابت بأمر من الخليفة الأول وعمر بن الخطاب وورد هذا النصّ باللغة الإنجليزية كالآتي[٣].

2.The issue of the alleged divine origin of the Qur'an must be determined by a study of its teaching and contents. it cannot be resolved through an analysis of the manner in originally transmitted the text.

وترجمة هذا النص من قول المبشر خطير جدا، فهو هاهنا يذكر:- أنَّ المسألة في

(١) السيوطي؛ الإتقان جزء ١ صفحة ١٤١.(.

(٢) ينظر صحيح مسلم جزء ٢صفحة حديث ١٣٤٢.

(٣) م.ن. صحيح مسلم الحديثين ١٣٤٦، ١٣٤٤.

الأصل الأداء الإلهي للقرآن ينبغي أن تحدد أو أن تقرر بدراسة الأسلوب والطريقة في تعاليمه ومحتوياته وتحليلها، ولا يمكن حلّها من خلال نقل النصّ الأصيل. فالمبشر جلكرايست يشكك في أن القرآن الكريم هو كلام الله تعالى، غير أن السؤال المهم الذي يترتب على ذلك هو كيف توصل المبشر إلى هذا الرأي الخطير؟ وما هي مسوّغاته ومصادره؟ والجواب على ذلك هو الروايات التي اعتمدها بشأن الخطوات والإجراءات التي اتبعت في جمع كتاب الله في زمن الخليفة الأول وحتى زمن الخليفة الثالث.

٣.كتاب المبشر جون جلكرايست الموسوم(جمع القرآن(Jam' al-Quran:The codification of the Qur'an text في حقيقة أمره عبارة عن ردود حوار للمبشر في حواره مع ثلاثة من علماء أهل السنة من جنوب أفريقيا، حيث كان يقيم المستشرق، وكان هؤلاء العلماء قد انتقدوا آراءه التي وصفت بكونها انتقادات شديدة اللهجة وتهجّميَّة، بحسب رأيه، بحقه لكونه مبشرا يهدف إلى ضرب الدين الإسلامي، وإلى التشكيك بقدسية القرآن الكريم وألوهيته؛ ولهذا الغرض وزع فصول الكتاب إلى سبعة فصول:- الأول منها عنوّنه بعنوان (الجمع الأولي أو التمهيدي للنصّ القرآني. ويتضمن مسائل عدّة من بينها؛ تطور القرآن خلال حياة النبي محمد صلّى الله عليه وآله. والجمع الأول للقرآن في عهد أبي بكر. وتأملاته بشأن الجمع الأولي للقرآن. والآيات المفقودة بحسب الروايات الإسلامية في مؤلفات الصحاح والسنن، تلك التي وجدها الصحابي زيد عند أبي خزيمة. وهذا المصحف قد أوصى به الخليفة إلى عمر، ومن ثمّ أودعه الخليفة الثاني عند ابنته حفصة زوج رسول الله صلى الله عليه وآله ونسخة: القرآن الأول في الخط الكوفي. أمّا الفصل الثاني فقد خصّصه لجمع الخليفة عثمان للقرآن؛ وقد تضمن محاور عدّة.

١.المحور الأول أإن لمصحف أبي بكر مرجعية رسمية؟ أم أنه كان تصرفا فرديا منه ومن كلّ من عمر بن الخطاب وزيد بن ثابت؟ وبحسب رأيه أنه لعله لهذا السبب

لم يتخّذ المصحف الذي جمع فيه آنذاك الصفة الرسمية ولم يتم الاعتراف به بين صفوف المسلمين؛ كالذي كان بالنسبة إلى المصحف الذي تمّت عملية جمعه في الإجراء الثاني أي الجمع الثاني زمن الخليفة الثالث الذي صار مصحفا رسميا، فوزع على الآفاق وعلى الأمصار الإسلامية.

٢. أوامر عثمان في حرق جميع المصاحف الأخرى المتواجدة. وهو الموضوع الذي عالجه المبشر معالجة مستفيضة.

٤. ويذهب المبشر بعيدا في إثارته الثالثة التي نصّت عليه مقدمة كتابه في أثناء ردّه على العلماء المسلمين الثلاثة إذ يصف ردود فعلهم ومناقشاتهم بكونها مجرد «انفعالات عاطفية» ويقول أيضًا: إنّ تلك الردود المنفعلة هي عبارة عن – بما يمكن ترجمته من اللغة الإنجليزية – «الهيجان العاطفي» وهو يدل على خوف هؤلاء العلماء المسلمين المحاورين بله والعلماء المسلمين الآخرين كافة من أية دراسة تاريخية بكل معنى الكلمة، لموضوع جمع القرآن الكريم؛ وذلك لئلا تؤدي مثل تلك الدراسة إما إلى دحض أو إلى إثبات بطلان الافتراض بأن القرآن قد جمع بله واحتفظ به على نحو كامل إن كان زمن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أم بعد ذلك وهذه حقيقة قد شخصها المبشر جلكرايست، فأمثال هؤلاء العلماء ممّن يخاف من لفظة المستشرق أو المبشر وهو أيضا يخشى خشية لا توصف حينما يتعلق الأمر بالرواية المقدسة عنده وعند أمثاله؛ لأنه يعجز عن الردّ العلمي البناء. ولمّا كان رأي المستشرق الخطير هذا مهما وخطيرا علينا أن ننقله نصّا إذ قال ما نصّه:

"Such emotional outbursts betray the Muslims' fear of a purely historical study of the Quran's compilation lest it should disprove the supposition that it was both perfectly collected and preserved. In this book will confine myself purely to study the extent to which the text of the Quran has been accurately and or completely transcribed".

فهو يقول بعد أن أثار تحديه بأنه لذلك سوف يحدد نفسه بشكل دقيق على دراسة المدى الذي كان فيه النصّ القرآني قد نسخ أو نقل بصورة دقيقة وكاملة. فالكتاب بشكله الصغير الحجم يضم محتويات عريضة لكنها تلتقي في نتيجة واحدة تبشيرية في الأساس.

٥. وتناول المبشر في كتابه (الفقرة الأولى) الخاصة بموضوع (تطور القرآن في عهد محمد) في بدايتها قوله: إن أية دراسة لمسألة جمع النصّ القرآني ينبغي أن تبدأ بمميزات الكتاب ذاته وخصائصه كما تسلّمه أو بلّغ به محمد إلى صحابته قي أثناء حياته. فالكتاب لم يبلغ، أو كما يعتقده المسلمون، أوحي له جميعا مرة واحدة. إنّما تبلغ به على شكل أجزاء عبر فترة تاريخية تمتد إلى ثلاث وعشرين سنة منذ بداية دعوة محمد بالإسلام في مكة في سنة ٦١٠م إلى حين وفاته في المدينة في سنة ٦٣٢م. والقرآن نفسه يعلن ذلك بأن الله قال لمحمد ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلۡقُرۡءَانُ جُمۡلَةٗ وَٰحِدَةٗۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَۖ وَرَتَّلۡنَٰهُ تَرۡتِيلٗا﴾[1] ويستمر المبشر في قوله مستنتجا كما ترجمناه إلى العربية قائلا: والأبعد من ذلك لم يحفظ أي مدونة أو أي شيء محفوظ أي ترتيب بالتعاقب للمقاطع لا من محمد نفسه ولا من أصحابه. ولذلك، ولأن كل واحدة من المقاطع (يقصد المبشر بالمقاطع الآيات الكريمة) أخذت، وبدأ بجمعها في سورة حقيقية (بمعنى أي فصلChapter)، ولم يقدم أي اعتبار لا إلى الموضوع ولا إلى الترتيب أو ما يعرف بالتسلسل التاريخي بحسب فترات نزولها ولا إلى تعاقب نزولها الكرنولوجي التعاقبي. وقد اعترف الكتاب بأن أغلبية السور وبالأخص منها السور الطويلة، ما هي إلّا نصوص مركبة أو مؤلفة تتضمن على مقاطع (يقصد آيات) متنوعة ليس بالضرورة كونها متصلة بعضها ببعضها الآخر سواءً في التسلسل الزمني أم في الطريقة التي قدمت فيها. وبمرور الزمن فإن محمدا اعتاد على أن يقول (ضعوا هذا المقطع) يقصد الآية (في السورة كذا في موضع كذا)[2].

(١) الفرقان/ ٣٢. نقلا عن الحاكم النيسابوري؛ صحيح جزء ٢ صفحة ٢٤٩ عند السيوطي؛ الإتقان جزء ١ صفحة ١٦٧.

(٢) م.ن. هامش جلكرايست الفصل الأول ص ٢٥-٢٦.

وهكذا تضاف المقاطع (يقصد الآيات) إلى الجمع والتصنيف للمقاطع (الآيات) الأخرى التي قد جمعت سوية بالفعل إلى أن تصبح هذه المقاطع (الآيات) سورة متكاملة ومتميزة. وهناك دليل على ذلك الأمر بأن عددا من هذه السور كانت بالفعل تحمل عناوين متميزة في عهد محمد، كما يتبين من الحديث الآتي، قال رسول الله صلى الله عليه وآله: (من قرأ هاتين الآيتين من آخر سورة البقرة في الليل فإنه يكفي بالنسبة له [جاء في صحيح مسلم الجزء الثاني ص ١٩٨ ما يأتي (حدثنا منجاب بن الحارث التميمي أخبرنا ابن مسهر عن الأعمش عن إبراهيم عن عبد الرحمن بن يزيد عن علقمة بن قيس عن أبي مسعود الأنصاري قال: قال رسول الله صلى الله عليه – وآله – وسلم من قرأ هاتين الآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه)؛ وروى أبو الدرداء أنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف عصم من الدجال)[١].

وفي الوقت نفسه فإن هناك دلائل على وجود سور أخرى لم يعط لها أية عناوين من قبل محمد على سبيل المثال سورة (الإخلاص) سورة رقم ١١٢ [جاء في صحيح مسلم الجزء الثاني ص ١٩٩ الحديث الآتي (قال: أيعجز أحدكم أن يقرأ في ليلة ثلث القرآن قالوا: وكيف يقرأ ثلث القرآن قال: قل هو الله أحد يعدل ثلث القرآن، وحدثنا إسحاق بن إبراهيم أخبرنا محمد بن بكر حدثنا سعيد بن أبي عروبة ح وحدثنا أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا عفان حدثنا أبان العطار جميعا عن قتادة بهذا الإسناد وفى حديثهما من قول النبي صلى الله عليه – وآله – وسلم قال إن الله جزأ القرآن ثلاثة أجزاء فجعل قل هو الله أحد جزءًا من أجزاء القرآن؛ وعلى الرغم من أن محمدًا قد تحدث عنها مطولا وقال إن الأربع آيات تساوي ثلث القرآن جميعا. ولكنه لم يذكرها باسمها)[٢].

والآن جاء دورنا في مناقشة هذه الآراء؛ بادئ ذي بدء نجد أن المستشرق المبشر

(١) نقلا عن البيهقي عند السيوطي؛ الإتقان جزء ١ صفحة ١٦٧ ..جلكرايست الفصل الأول ص ٢٦-٢٧.

(٢) م.ن. ٥٠؛ السيوطي؛ الإتقان جزء ١ صفحة ١٧١.

جلكرايست يستشهد بالأحاديث التي وردت في مؤلفات الصحاح ولاسيما في صحيح البخاري وصحيح مسلم، لهذا فكلامه يعدّ منطقيا وموثقا.غير أن هناك مجالا واسعا للمناقشة والردّ وعلى وفق الآتي:

١. ليس صحيحا القول بكل الثقة التي أعلنها المبشر جلكرايست بأن القرآن الكريم لم يكن مكتوبا أو لم يكن محفوظا أو حتى لم يكن منزّلا دفعة واحدة على رسول الله صلى الله عليه وآله، وهو الزعم نفسه الذي شدّد عليه جون ونزبورو في كتابه (دراسات قرآنية) كما درسنا ذلك في بحث فصل منشور في مجلة المصباح الغراء، بل كان القرآن مجموعا ومرتبا ترتيبا زمانيا، وحسب قول الإمام علي عليه السلام، ومكانيا.

فقد أخرج حديثًا على شرط الشيخين عن زيد بن ثابت قوله (كنّا عند رسول الله صلى الله عليه وآله نؤلف القرآن من الرقاع)[١].

وهو دليل واضح على أن كتاب الله تعالى كان يكتب في عهد الرسول لا في عهود لاحقة كما يؤشر إليه جلكرايست وغيره. وفي رواية مهمة للسيوطي استند فيها على الحارث المحاسبي في كتابه (فهم القرآن) ويذهب نصّ الرواية إلى أن (كتابة القرآن ليست بمحدثة فإنه صلى الله عليه وآله كان يأمر بكتابته، ولكنه كان مفرقا في الرقاع والأكتاف والعسب، فإنّما أمر الصديق بنسخها من مكان إلى مكان مجتمعا وكان ذلك بمنزلة أوراق وجدت في بيت رسول الله صلى الله عليه وآله فيها القرآن منتشرا فجمعها جامع وربطها بخيط حتى لا يضيع منها شيء؛ فإذا قيل كيف وقعت الثقة بأصحاب الرقاع وصدور الرجال؟ قيل لأنهم كانوا يبدون عن تأليف معجز، ونظم معروف، قد شاهدوا تلاوته من النبي صلى الله عليه وآله عشرين سنة، فكان تزوير ما ليس منه مأمونا، وإنما كان الخوف من ذهاب شيء من صحفه)[٢].

(١) عند السيوطي الإتقان جزء ١ صفحة ١٧٠.

(٢) البغوي مجلد ٣ص ٢٧٨.

فالمهم في هذه الرواية كونها تعدّ الردّ المباشر على جميع التشكيكات والتساؤلات التي أبداها المبشر جلكرايست. فليس كما اعتمده على رواية معركة اليمامة التي تظهر عملية جمع القرآن وكأنها عملية جديدة وغير مدروسة، بل وكانها عملية ارتجالية قد فكر بأهميتها عمر بن الخطاب؛ لذا ما كان على الصحابي زيد إلّا أن يشمّر عن ساعديه بالبحث والمتابعة عن الآيات القرآنية، وهي مبعثرة ومتفرقة بين العسب والأكتاف والعظام وما إلى ذلك من مواد غير مؤهلة للحفظ والتدوين لمدة طويلة؛ بسبب تعرضها للعوامل الجوية. في الوقت الذي اعترف فيه زيد بالمهمة الدائمية على أنه ورسول الله صلى الله عليه وآله كانا يؤلفان القرآن، وللبيهقي تعقيب دقيق لما ذكره زيد بشكل واضح وصريح إذ قال (ويشبه أن يكون المراد به تأليف ما نزل من الآيات المتفرقة في سورها وجمعها فيها بإشارة النبي صلى الله عليه وآله)[1].

والأهم من كل هذا وذاك فإن السيوطي بنقله هذه الرواية عن الحارث بن أسد المحاسبي (المتوفى٢٤٣هـ) في كتابه (فهم القرآن) ومحاججته البالغة الأهمية عن إعجاز القرآن في النظم واللغة والتلاوة بلسان النبي طيلة مدة بعثته التي حدّدها بعشرين سنة بمعنى تلقيه صلى الله عليه وآله الوحي بنزول آيات الذكر الحكيم لا تقود إلى الشك الذي يدعمه قول المبشر جلكرايست وجون بيرتون وآخرين؛ كذلك فقد بينت رواية البيهقي أنّ سبب ذلك هو (لصعوبة التزوير في متن الكتاب المبين ولغته وأسلوبه).

بمعنى آخر إن الرواية التي أوردناها في الفصول السابقة وبخصوص ما قاله عمر بن الخطاب وبعده عثمان بن عفّان عن اللغة التي يفضلانها عند جمعها القرآن وهي أن يكون بلغة هذيل أو لغة مضر أو لغة قريش لا مجال لها؛ لأن إعجاز القرآن في النظم واللغة والتلاوة بلسان النبي صلى الله عليه وآله أمر بيّن جدا.

(١) البغوي، مجلد ٣ص ٢٧٩ – ٢٨٠.

ولقطع دابر هذه التأويلات والتخرصات من قبل زيد بن ثابت والمجموعة التي تعتقد برواية معركة اليمامة أقول: إنهم المفروض بهم من الصحابة الأوائل من الذين سمعوا القرآن الكريم من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقرأوه وحفظوه ألم يقرأوا ما أنزله الله تعالى على النبي صلى الله عليه وآله في سورة القيامة الآيات الكريمة ١٦-١٩ بسم الله الرحمن الرحيم ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ۝١٦ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ۝١٧ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ۝١٨ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ﴾[1] وتفسير هذه الآيات الأربع بحسب مجمع البيان للشيخ الطبرسي هو:

خاطب سبحانه نبيه صلى الله عليه وآله فقال: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ﴾ قال ابن عباس: كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم إذا نزل عليه القرآن، عجل بتحريك لسانه، لحبه إياه، وحرصه على أخذه وضبطه، مخافة أن ينساه، فنهاه الله عن ذلك.

وفي رواية سعيد بن جبير عنه أنه صلى الله عليه وآله وسلم كان يعاني من التنزيل شدة، وكان يشتد عليه حفظه، فكان يحرك لسانه وشفتيه قبل فراغ جبريل من قراءة الوحي، فقال سبحانه: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ﴾ أي بالوحي، أو بالقرآن ﴿لِسَانَكَ﴾ يعني بالقراءة ﴿لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ﴾ أي لتأخذه كما قال: ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ﴾ ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ﴾ في صدرك حتى تحفظه ﴿وَقُرْءَانَهُۥ﴾ أي وتأليفه على ما نزل عليك، عن قتادة.

وقيل: معناه إن علينا جمعه وقرآنه عليك حتى تحفظه، ويمكنك تلاوته، فلا تخف فوت شيء منه، عن ابن عباس، والضحاك. ﴿فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ﴾ أي: قرأه جبريل عليك بأمرنا ﴿فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ﴾ أي قراءته، عن ابن عباس، والمعنى اقرأه إذا فرغ جبريل من قراءته.

قال: فكان النبي صلى الله عليه وآله وسلم بعد هذا، إذا نزل عليه جبريل عليه

(١) سورة القيامة، الآيات: ١٦-١٩.

السلام أطرق، فإذا ذهب قرأ[1].

وللطباطبائي في تفسير الميزان تفسير مهم إذ يقول: (عن بعضهم أن الآيات الأربع متصلة بما تقدم من حديث يوم القيامة، وخطاب (لا تحرك) للنبي صلى الله عليه وآله، وضمير (به) ليوم القيامة، والمعنى لا تتفوه بالسؤال عن وقت القيامة أصلا ولو كنت غير مكذب ولا مستهزئ (لتعجل به) أي بالعلم به (إن علينا جمعه وقرآنه) أي من الواجب في الحكمة أن نجمع من نجمعه فيه ونوحي شرح وصفه إليك في القرآن (فإذا قرأناه فاتبع قرآنه) أي إذا قرأنا ما يتعلق به فاتبع ذلك بالعمل بما يقتضيه من الاستعداد له (ثم إن علينا بيانه) أي إظهار ذلك بالنفخ في الصور انتهى ملخصا وهو كما ترى. وقد تقدم في تفسير قوله: ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ﴾ أن هذا النهي عن العجل بالقرآن يؤيد ما ورد في الروايات أن للقرآن نزولا على النبي صلى الله عليه وآله وسلم دفعة غير نزوله تدريجا)[2].

٢. والأكثر أهمية هو ما جاء في رواية للبيهقي تلك المعلومة القيّمة، إذ يقول «ولكن الخوف كل الخوف من أن ورقة من هذا القرآن الجامع المربوط بخيط قد تضيع منه صحف [طبعا هنا المراد بالصحف أوراق أخرى] ليس إلّا. فالقرآن الكريم كان مجموعا وملفوفا بخيط فضلا عن أنه مكتوب على الورق. فأين يقع استنتاج المستشرقين والمبشرين في مثل هذه الحالة؟! وعلى ذكر استخدام الورق في الجمع زمن رسول الله صلى الله عليه وآله. فالمبشر كان مرارا يكرر ذكر المواد التي جاءت في رواية معركة اليمامة بأن زيدا أخذ يتتبع جمع القرآن من العسب واللخاف والأكتاف والقتب وما إلى ذلك لكنه يعرف حق المعرفة بأن القرآن كله كان مجموعا، وهذا ما تبينه صراحة الرواية التي أدلى بها ابن شهاب الزهري نفسه، والعجيب أنها الرواية التي تكرر ذكرها في صحيح البخاري وصحيح مسلم؛ قال الزهري بأن أبا بكر كان قد جمع القرآن في قراطيس».

(١) ينظر أبا علي الفضل بن الحسن الطبرسي مجمع البيان في تفسير القرآن جزء ١٠ صفحة ١٩٧.

(٢) السجستاني؛ المصاحف ص ٩٦. ينظر السيد محمد حسين الطباطبائي؛ الميزان في تفسير القرآن جزء ٢٠ صفحة ١١١.

وهناك رواية أخرى عسى إن كان يتذكرها الصحابي زيد حين قال له رسول الله صلّى الله عليه وآله (آت بالقلم والقرطاس...)؟ فلم يقل له الرسول صلى الله عليه وآله وسلم آت بالكتف أو العسبة والدواة !! هذا ناهيك عن الرواية التي أدلى بها الهلالي واليعقوبي من أنّ الإمام عليّ عليه السلام جاء المسجد الجامع وهو يحمل القرآن الكريم بعد جمعه إياه إذ كان في قراطيس وأوراق لا في الأكتاف والقتب والعسب!

٣. مسألة أخرى مهمة بشأن تركيز المبشر على أن القرآن الكريم لم يكن محفوظا فحسب ولذلك فقد نسي الصحابي زيد بأنه من المفروض إنه كان من حفظة القرآن الكريم ومن كتّاب الوحي، فما هو الموقف من القاعدة التي كانت مطبّقة في مسألة الأخذ برواية أحد من الناس كونه قد سمع هذه الآية أو تلك الآية من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حصرا؛ وهو معيار أو قاعدة (الحفظ والكتابة(كما صرّح به ابن حجر العسقلاني. ويعتمد السيوطي على قول السخاوي أيضا إذ يقول السخاوي في كتابه عن القرّاء بأن المراد بالشاهدين اللذين فرضهما زيد في قبول رواية الناس: بأن المقصود بالشاهدين على أن ذلك المكتوب قد كتب بين يدي الرسول صلى الله عليه وآله وسلم أو أنهما يشهدان على أن ذلك من الوجوه التي نزل بها القرآن[١].

٤. وهناك رواية أدلى بها البغوي في شرح السنة تتعلق بالأحرف السبعة أوردها بسند عن النزّال الهلالي (قال سمعت النزّال بن سيرة الهلالي عن ابن مسعود قال سمعت رجلا قرأ وسمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقرأ خلافها، فجئت به النبي صلى الله عليه وآله وسلم فأخبرته، فعرفت في وجهه الكراهية وقال: كلاكما حسن، فلا تختلفوا، فإن قبلكم اختلفوا فهلكوا)[٢].

وبدأ البغوي يفصّل في حيثيات الأحرف السبعة إلى أن قال ما نصّه (إذ ليس

(١) السجستاني؛ المصاحف: ص ١٠١ - ١٠٢.

(٢) م.ن. ص ١٣٨ - ١٣٩.

معنى هذه الحروف أن يقرأ كلّ فريق بما شاء فيما يوافق لغته من غير توقيف بل كلّ هذه الحروف منصوصة وكلّها كلام الله نزل به الروح الأمين على رسول الله صلى الله عليه وآله يدل عليه قوله. إنّ هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فجعل الأحرف منزّلة، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله يعارض جبريل عليه السلام في كلّ سنة في شهر رمضان بما يجتمع عنده من القرآن، فيحدّث الله فيه ما يشاء، وينسخ ما يشاء، وكان يعرض عليه في كلّ عرضة وجها من الوجوه التي أباح الله له أن يقرأ القرآن به، وكان يجوز لرسول الله صلى الله عليه وآله بأمر الله سبحانه وتعالى أن يقرأ ويقرئ بجميع ذلك، وهي كلّها متفقة المعاني وإن اختلف بعض حروفها)[1].

وهذا النصّ الرائع يقطع كلّ ما كان يشغل بال المستشرقين والمبشرين من الرواية المليئة بالتناقضات التي دوّنها البخاري ومسلم ومن تبعهما من أصحاب السنن والمصاحف والتاريخ. فلم يكن القرآن الكريم قد جمع على وفق ما يشتهيه الصحابي زيد بن ثابت الذي حسبما يبدو أنه قد تغافل أو نسي، ربما بقصد، أبان حقبة معاصرته الوحي عن أن الرسول كان في كلّ رمضان يجتمع بالملك جبرئيل عليه السلام ليتناقشا في المجموعة من الآيات التي أنزلها الله تعالى خلال السنة السابقة؛ فالترتيب، وأسباب النزول، ومعاني الآيات، والناسخ والمنسوخ، هي من بين الأمور الحيوية، فلا يتجوز بعضهم إن كانوا من الصحابة أو من غيرهم ليدّعي بقصد أو بدونه أن يفعل كذا وكذا أو أن يجعل السور الطوال لوحدها والقصار لوحدها أو أن يرتب القرآن حسبما يشاء، وبما يشتهي هواه أو هوى السلطة؛ إن هذا محض هراء وهذيان. ولذلك أقول إن عمر بن الخطاب وزيد قد أخطآ التقدير في ممانعتهم، أو حتى مجرد النظر في ما حمله الإمام علي عليه السلام إلى المسجد الجامع في المدينة المنورة واليهم أنفسهم من القرآن الكريم

(١) المصاحف ص ١٢ - ١٣.

الذي قد شهده رسول الله صلى الله عليه وآله والملك جبرئيل عليه السلام في العرصة الأخيرة التي كانت محلّ مناقشة، خلال مرتين، وليس كما كان معهودا في السابق خلال مرة واحدة في السنة.

٥. ولنلاحظ خطورة الرواية الآتية المروية بسند عن أبي قلابة [أبو قلابة عبد الله بن زيد الجرمي البصري، تابعي، وراوي حديث نبوي ثقة، وفقيه، (ت١٠٤هـ) وقيل بعدها. عبد الجبار ناجي]. في أنها هي التي هيأت للمستشرقين والمبشرين عموما وللمبشر جلكرايست والمستشرق جون برتون على وجه الخصوص أرضية صلبة في الطعن بكتاب الله العزيز والطعن بل وفي التقليل من الكيفية التي تمّ فيها جمع القرآن. (قال أبو قلابة فحدثني أنس بن مالك (أو مالك بن أنس حسب قول محقق كتاب المصاحف للسجستاني). أقصد أن أبا قلابة من البداية قد عرّف نفسه تعريفا مشوها فهو لا يميز بين مالك بن أنس أو أنس بن مالك(قال: كنت فيمن أملي عليهم فربما اختلفوا في الآية فيذكرون الرجل قد تلقاها من رسول الله صلى الله عليه وآله ولعله أن يكون غائبا أو في بعض البوادي فيكتبون ما قبلها [أي ما قبل هذه الآية] وما بعدها ويدعون موضعها حتى يجيء أو يرسل إليه، فلما فرغ من المصحف كتب إلى أهل الأمصار إني قد صنعت كذا محوت ما عندي فامحوا ما عندكم)[1].

أهكذا ألّف الخليفة الثالث القرآن أو جمعه؟! فأين نحن وما قيل في الفقرة السابقة عن اجتماع النبي صلى الله عليه وآله والملك جبرئيل عليه السلام سنويا وفي السنة الأخيرة من حياة رسول الله صلى الله عليه وآله قد اجتمعا مرتين ليتشاورا ويرتبا ويفسرا معاني الآيات وغير ذلك؟، وبين هذه الرواية التي تشوّه عملية الجمع بهذه الصورة البدائية والبدوية.

وهي رواية إذا ما وضعناها إلى جانب الرواية الآتية تكتمل الصورة غير الموضوعية

(١) المصاحف، ص: ١٤.

للعمل الذي نهد به الخليفة الثالث عن مصعب بن سعد قال سمع عثمان قراءة أبي [يعني الصحابي أبي بن كعب] وعبد الله [يعني الصحابي عبد الله بن مسعود] ومعاذ فخطب الناس ثم قال: إنما قبض نبيكم منذ خمس عشرة سنة وقد اختلفتم في القرآن عزمت على من عنده شيء من القرآن سمعه من رسول الله لما أتاني به، فجعل الرجل يأتيه باللخاف والكتف والعسب فيه الكتاب...ثم قال أي الناس أفصح؟ قالوا سعيد بن العاص ثم قال أي الناس أكتب؟ قالوا زيد[1].

فعثمان بن عفان قد سمع قراءة الصحابة ممّن كان لديه مصحفا، لكنه تجاوزهم جميعا من دون الإطلاع على قراءاتهم، وطلب من المجتمعين والمستمعين، فجاءه هؤلاء بما لديهم من سعفة أو عظمة كتف وما إلى ذلك لعثمان من أجل أن يجمع القرآن من دون أن يسأل نفسه إن عهده في منتصف الثلاثينيات أي بعد حوالى عشرين سنة من رحيل رسول الله. فكيف بتلك الأدوات والمواد الكتابية التي تتلف بعد مدة قصيرة أن تبقى على حالها؛ لماذا لم يستمع عثمان إلى كلمة الحق وهي الكلمة العليا وأن يجتمع بالإمام علي عليه السلام ليدوّن ما سبق جمعه من مصحف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ؛ بل لماذا لم يجتمع بالصحابة الذين سمع قراءتهم فيأخذ بها. وبذلك يكفي الأمة الإسلامية من شرور التحريف والادّعاء والتزوير والتلفيق. كلّ هذا ممكن لو أن عثمان بن عفان تنازل عن أحقاده ونكرانه جهود الآخر الأعلم منه والأكثر دراية وحفظا والأكثر منزلة في كتاب الله القرآن الكريم والأكثر منزلة عند رسول الله صلى الله عليه وآله.

ولماذا تناسى عثمان نتيجة توتر أعصابه إذا ما ذكر اسم ابن أم معبد [أي الصحابي الجليل القدر عبد الله بن مسعود]؛ الذي قال فيه رسول الله (خذوا...) الخ؟ بدلا من أن يبدأ من جديد؛ لأن زيدا قد سبقه في التفتيش هنا وهناك عن عظمة كتف وغير

(١) ينظر الصولي؛ ابو بكر: أدب الكتّاب -تحقيق محمد بهجت الأثري، القاهرة ١٣٤١ ص ١٦٥.

ذلك، بينما تكون الرواية الحقيقة التي من الضروري بل من المحتّم أن يبدأ بها زيد بداية منطقية، وذلك بالتشاور مع الإمام علي عليه السلام؛ لتحقيق إنجاز علمي ومدروس لكتابة المصحف؛ ومصحف رسول الله صلى الله عليه وآله وقد حمله الإمام عليه السلام إلى المسجد الجامع حيث كان يجتمع فيه الخليفة والمجموعة التي تؤيد عمل الصحابي زيد بن ثابت.

٦- حقيقة إن المبشر جلكرايست قد أثار مسألة في غاية الأهمية تتعلق بالجمع الأول للقرآن، وقد حفزتنا تلك النقطة الجديرة إلى التساؤل عن أسباب ذلك الجهد ونتائجه الذي بذله الصحابي زيد بن ثابت بتشجيع من الخليفة أبي بكر وعمر في ملاحقة المواد غير المنضبطة التي قيل إنها كانت تمثل القرآن المجيد، أي تلك التي كانت مكتوبة على الألواح أو القتب أوالأكتاف...الخ. فلماذا جمع القرآن؟ الجواب ميسور وسهل وذلك لكي يكون للأمةِ إمامٌ وقرآنٌ؛ خوفا عليهم من الاختلاف، وخوفا عليه من الفقدان والضياع، وهو سبب جيد بامتياز؛ لكن السؤال الأهم وهو إن كان الأمر كذلك فلماذا بقيت تلك النسخة مخفية من دون أن تؤدي دورا في حياة المجتمع الإسلامي؟ أإن الخليفة، أبا بكر أو عمر بن الخطاب، أرادا حفظه عند ابنة عمر فحسب أم أنهما أرادا تدواله بين المسلمين، بمعنى نشره بين أوساط المجتمع المديني على الأقل؟؛ وذلك لأن الفتوحات الإسلامية لم تنطلق بعد في هذه المدّة المبكرة من عهد الخليفة الأول. آخذين بنظر الاعتبار انطلاقة حملة بلاد الشام في هذا العهد وانطلاق ما يسمى بحروب الردة باتجاه جنوب الجزيرة العربية أيضا بحدود هذه المدّة. وإن جزءًا من التعليمات المزوّدة لخالد بن الوليد هي إعادة المرتدين إلى حظيرة الإسلام بقراءة القرآن. ألا يرى القارئ اللبيب أن هناك حاجة ملّحة لأن يوزع القرآن الكريم أو إلى حدّ ما لينشر أو ليعرف في المناطق المفتوحة إن كان هناك بلاد مفتوحة فعلا؟ ناهيك عن القول بأنه في عهد

الخليفة الثاني عندما ابتدأت العمليات الواسعة للفتح صارت الحاجة إلى القرآن الموّحد ضرورية وملّحة جدا بل وواقعية جدا أكثر بكثير من الحالة التي اكتشفها الصحابي حذيفة بن اليمان في عهد الخليفة الثالث. تلك الحالة التي اضطرته إلى أن يشكل الخليفة عثمان لجنة رباعية من فتيان آل أمية وأصدقائهم كعبد الله بن الزبير إلى جمع القرآن الكريم وجعله بل وفرضه رسميا على المسلمين في عموم الأمصار الإسلامية. إذًا لماذا لم يبادر الخليفة الأول على جعل الجمع الأول رسميا فيشرعن خلال ولايته؟؛ فالمبشر جلكرايست يتساءل في كتابه فيما إذا كان للمصحف الذي جمعه الخليفة الأول وزيد أي صفة شرعية أو رسمية؟ (Did Abu Bakr's codex have official status?) قد يقول قائل: إن المشروع ربما كان ناقصا أو أن الخليفة وعمر وزيدًا ارتأوا تأجيل العمل به وذلك لأن الصحابة من كتّاب الوحي الأساسيين ما زالوا يحتفظون بمصاحفهم التي تتوافق مع النصّ القرآني إن كان في ترتيب السور أو في عناوينها أو في ناسخها ومنسوخها أو في معانيها. لذلك ربما أنهم فكروا في حالة جعل هذا الكتاب يعني القرآن الذي جمعه رسميا قد يقود إلى موازنته مع تلك المصاحف فيتبين عندئذ أنه غير متكامل. لم يكن عمل عثمان في واقع الحال جديدا؛ لأنه عند بداية التفكير بالجمع كان قد طلب النسخة التي جمعها الخليفة الأول وزيد تلك التي كانت مؤمنة عند الخليفة الثاني الذي بدوره أعطاها إلى ابنته حفصة زوجة رسول الله صلى الله عليه وآله ربما لحفظها. ولهذا السبب استفهم المبشر عن هذا الموضوع بمعنى هل كان قرآن زيد قرآنا رسميا للدولة العربية الإسلامية أم ظل محدودا بل ومحفوظا عند الخليفة الثاني وابنته فحسب؟. فيذكر السجستاني رواية سندها الآتي (سمعنا خالد بن إياس بن صخر بن أبي الجهم [وهو اسناد جيد بحسب محقق الكتاب] يذكر إنه قرأ مصحف عثمان فوجد فيه ممّا يخالف

مصاحف أهل المدينة باثنتي عشر حرفا)[1].

كذلك يضيف السجستاني شارحا أهمية ما قاله الصحابي حذيفة بن اليمان قائلا (كان حذيفة هو الذي أشار على عثمان بأن يجمع المصاحف على مصحف واحد. فأرسل عثمان إلى حفصة أن تعطيه المصحف، وجعل لها عهد الله ليردّه إليها، فأعطته إياها فعرضت الصحف عليها)[2].

إذًا فإن المصحف الذي جمعه عثمان قد اتّخذ المنهج نفسه الذي سار عليه الخليفة الأول والصحابي زيد، والأكثر مباشرة في هذا الصدد أن زيدا نفسه كان رئيس اللجنة التي انتقاها عثمان، وكانت مهمته فيها العضو الذي يملى عليه (أي المملي) والذي يملي عليه سعيد بن العاص. يقول السجستاني (وهكذا جعل عثمان سور القرآن المفرقة مصحفا بعد أن كان صفحة. الفرق بين الصفحة والمصحف أن الصفحة الأوراق المجردة التي جمع فيها القرآن زمن أبي بكر وكانت سورا مفرقة كلّ سورة مرتبة على حدة فلما نسخها عثمان ورتب بعضها صارت مصحفا).

فهذه الرواية تعدّ أشبه بالضربة القاضية لرواية معركة اليمامة، وتتناقض معها كليّا فلعل ما خططه الخليفة الأول وعمر بن الخطاب وما قام به زيد إن هو إلّا عمل لا قيمة له، وإن نتائجه لم تتمخض عن أنتاج قرآن كالذي أرادته عزيمة الخليفة وعمر بن الخطاب إنما كان عملا ناقصا وارتجاليا وغير نافع للأمة الإسلامية، فهو عبارة عن سور مفرقة كلّ سورة مرتبة على حدة. وأن الفضل يرجع إلى عثمان إنه هو الذي رتبها وجعلها مصحفا. كيف لنا ونحن نقرأ هذه الرواية التمييز والموازنة بين الرواية الأكثر صحة لما قام به الخليفة الأول من جمعه القرآن وترك الأمر للخليفة من بعده الذي تركه إرثًا لابنته حفصة؟! هل يمكننا الوصول إلى نتيجة مفادها أن العملين، الأول والثاني، يثيران شكّا في مدى

(١) السجستاني؛ المصاحف –طبعة القاهرة ١٤٢٤ / ٢٠٠٣ ص ٧٩.

(٢) ابن الأثير؛ أسد الغابة في معرفة الصحابة–القاهرة ١٣٩٣ – ١٩٧٣ م جزء ٣صفحة ٢٦٨.

جدواهما، ولا سيما وأن مصحف عثمان كان يختلف عن المصاحف المتوافرة في مدينة رسول الله صلى الله عليه وآله. لهذا فإن تساؤل المبشر السابق الذكر آنفًا جدواه وواقعيته.

٧- عندئذٍ ألا يعتقد المرء بأن ممانعة الخليفة الأوّل وعمر بن الخطاب تصبّ في هدف مشترك ألا وهو عزل وإبعاد الاعتماد على مصحف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الذي حمله اليهم الإمام علي عليه السلام وجعله الإمام والمصحف الرسمي بدلا من إجراء ترميمات غير موضوعية ومجرد جمع ما تفرق من السور بالصيغة الناقصة والعليلة التي لجأت إليه اللجنة الرباعية التي شكلها الخليفة الثالث. فلو أنهم تجاوزوا كراهيتهم لبني هاشم ولآل بيت النبيّ صلى الله عليه وآله، ولو أنهم تجاوزوا أحقادهم على الصحابة من كتّاب الوحي الحقيقين وشكلوا لجنة جديدة ليس فيها إلّا الذين كانوا هم كتّاب الوحي الحقيقين لما تركت مسألة جمع القرآن بالصيغة التي بنيت على العناصر المتناقضة التي احتوتها رواية معركة اليمامة.

أمّا بخصوص الكتابة ومدى توافرها في المجتمع المديني في عهد رسول الله صلى الله عليه وآله؛ ففي الإمكان القول إن تعلمها قد ازداد مع ظهور الإسلام، والقرآن الكريم خير عون على الوصول إلى هذه النتيجة بدءا من سورة القلم، وسورة أقرأ بسم ربك الأعلى، والآيات المتعددة التي تفصح عن موقف الإسلام من التعلم والتعليم والكتابة، وغير ذلك من مواقف الإسلام من العلم والمعرفة والسعي الحثيث لتعلم اللغات -على الأقل لغات الأمم المجاورة للجزيرة العربية. وكان رسول الله يأمر كتّاب الوحي أن يكتبوا ما يوحى اليه من الله سبحانه وتعالى وكان دؤوبا في التأكد بنفسه من صحة ما يكتبونه، فإن وجد نقصا أو خطأ أو أي إشكال في ما كانوا يكتبونه يأمر بتصحيحه في الحال. فقد روي عن زيد بن ثابت قوله (كنت إلى جانب رسول الله صلى الله عليه وآله أكتب ما يملي عليّ من الوحي، وعندما تنتهي الكتابة كان يقول اقرأ فأقرأ،

وإذا وجد فيما كتبت نقصا كان يصححه)[١].

وكان الإمام علي عليه السلام ممّن كلّف بمثل هذه المسؤولية الكبيرة والبالغة الأهمية. فضلًا عن ذلك ما قاله الصحابي عبد الله بن مسعود بشكل قطعي في رواية سندها يرجع إلى أبي سعيد الخدري قال (سمعت عبد الله بن مسعود يقول أقرأني رسول الله صلى الله عليه وآله سبعين سورة أحكمتها قبل أن يسلم زيد بن ثابت)[٢].

وفي رواية أخرى إنه تعلم من فيّ رسول الله تسعين سورة. وهي مسألة في غاية الأهمية للردّ على الرواية التي تدّعي أن الآيات أو السور كانت متفرقة وغير مرتبة.

وواقعيا لم تكن الطريقة التي يملّي الصحابي على الشخص المملى عليه تختلف في شيء عن الطريقة المألوفة اليوم، فابن قتيبة يذكر في كتابه (أدب الكاتب) في باب الحديث عن الألف في كلمات الصلوة والزكوة والحيوة في أنها تتحول إن ذكر إلى الألف في كتابتها تكون أفضل لولا عادة العارفين بالكتابة في العهد الذي كتبت فيه المصاحف الأولى فبقي رسمها بالواو. لقد كانت القراءة والكتابة في العهد المدني نظاما مؤسسيا فعبد الله بن سعيد بن العاص كان بحسب ما ذكره ابن الأثير في كتابه أسد الغابة واحدا من المكلفين من قبل رسول الله بتعليم الكتابة في المدينة[٣].

فضلا عن هذا فقد جعل النبي صلى الله عليه وآله من الواجبات المهمة لمن كان يعرف قراءة القرآن أن يعلمها جيرانه، حتى صار هذا الإيعاز من فروض الجيرة[٤]. وذكر ابن عبد البر في كتابه الاستيعاب أن هناك دارا للقرّاء في المدينة[٥].

(١) ينظر الكتاني؛ عبد الحي؛ التراتيب الإدارية – بيروت، دار إحياء التراث العربي جزء ١ ص ٤٠ – ٤١.

(٢) هامش كتاب ابن حجر العسقلاني الإصابة جزء ٢ ص ٢٥٩ – ٢٦٠.

(٣) ينظر: أدب الكاتب: ١٧٧. ينظر الدكتور طيار آلتي قولاج: «مسألة رسم المصاحف» في مجلة ارسيكا، مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية في اسطنبول –المجلد الأول العدد الأول ٢٠١٣ ص ١٩.

(٤) رقم الإتقان في تحريف القرآن – الدليل والبرهان – إسلاميات دوت كوم من شبكة الإنترنيت.

(٥) ينظر كتاب الدر المنثور ٥: ١٧٩.

وهذا إن دلّ على شيء إنّما يدل على أن هناك عددا كبيرا من آيات الذكر الحكيم المدونة بشكل متفرق ومجتمع في عهد رسول الله، فضلا عن هذا فإن استظهار بعض الصحابة للقرآن الكريم وحفظهم له كاملا وحفظ الأغلبية من المسلمين أمر من دون شكّ ينطوي على أهمية كبيرة في المحافظة على كتاب الله العزيز؛ لهذا لا معنى لأن ينسى أو يتناسى الصحابي زيد آيات من كتاب الله آية أو مجموعة من الآيات[1].

كما قلنا سابقا ونكرره الآن بأن هذا المبشر وغيره نظير البروفسور برتون في كتابه (جمع القرآن The collection of Qura'n) وجوش مكدويل (Josh Macdwell) وغيره أيضا يعولون على المؤلفات السنيّة فحسب في هذه الإشكالية وحتى في الحديث عن التشيع متناسين بل ومتغاضين بعمد وإصرار عن ما يقوله العلماء الشيعة القدامى والمحدثون. ويعدّ هذا النقص في رؤاهم ومفاهيمهم ومن ثَمَّ يقعون في أخطاء وتناقضات كثيرة وخطيرة. ففي هذا الصدد مثلا لا نجد أي مسوّغ للمبشر جلكرايست في كتبه الثلاثة التي سبقت الإشارة إليها وإلى كتابه (جمع القرآن) هذا الذي تحدى فيه العلماء من المسلمين المحاورين له الذين هاجموه، والذي تحدى فيه جميع العلماء المسلمين الشيعة والسنّة على حدّ سواء في موقفه عن عدم صدقية، وعدم قدسية القرآن الكريم، بهدف موازنته في المكانة والقدسية مع الإنجيل. ومما يؤسف له أن الجانب المسلم هو الآخر قد استسلم لنفوذِ الحديثِ السنّي وسيادة الرواية السنيّة؛ لأنه على وفق ما يمليه عليه مذهبه لا يرى بل لا يصدق أن هناك مكتبة تفوق مكتبته السنيّة مصداقية وموضوعية؛ لأنها تتمتع بأفضل سلسلة سند وأطهرها وهي السلسة الذّهبية المستندة إلى أحاديث الأئمة الأطهار عليهم السلام، التي بدورها تنتهي برسول الله صلى الله عليه وآله؛ فإن سلسلة سند كهذه سوف تقوده، إن شاء إلى معرفة الحقيقية، وسوف يكتشف الأصل الضعيف

(١) السيوطي؛ الإتقان في علوم القرآن (تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم)، جزء ١ ص ٢٠٢.

لرواية معركة اليمامة، الرواية التي تثير فينا كدورةً واستياءً؛ لما أنتجته تلك الرواية التي تأسّست عليها من دون غيرها نظرية جمع القرآن الكريم، إنها الرواية التي ثبّتها البخاري وهي رواية معركة اليمامة.

فلنأخذ ما ذكره مؤلف موضوع على شبكة الإنترنيت بعنوان (الإتقان في تحريف القرآن) الشيخ المقدسي وفي موضوع مقتل حفظة القرآن الكريم كتعبير واف عن مدى تأثير رواية معركة اليمامة، إذ يقول ما نصّه (مقتل حفظة القرآن في موقعة بئر معونة وفي معركة اليمامة كانت السبب الأساس في جمعهم للقران. أضف إلى ذلك إن نبي الإسلام قد ترك الأمة بعد وفاته بقرآن مشتت مبعثر هنا وهناك بعضه كتب في رقاع، وبعضه كتب على اللخاف وبعضه كتب على العسب والرقاع وقطع الأديم والأقتاب وسعف النخيل. وقد كانت ملقاة في بيوت الصحابة، وجملة منه في صدور القرّاء وهكذا، والنتيجة أن نبي الإسلام ترك الأمة الإسلامية بلا مصحف مجموع ولا كتاب مرتب يحوي القرآن، وحيث كان بعض الصحابة يحفظونه وكان عدد كبير منهم قُتِلوا في حرب اليمامة، فخيف ضياع كثير من القرآن مما حفظ هؤلاء القتلى، فأُمر بجمعه فجمع)[1].

فالسؤال الذي يوجّه لكاتبِ هذا المقال على شبكة الإنترنيت من أين استقيت هذه المعلومات المرتبكة وغير الصحيحة؟ فسوف يقول: إنها معلومات اعتمدت رواية معركة اليمامة؛ ثم إن نصّ رواية البخاري لم تذكر أن بعض أوراق القرآن الكريم كانت (ملقاة في بيوت الصحابة).

إلّا أن المسألة المهمة هي أن تلك الرواية إنّما بنيت على أساس ضعيف، فحينما يقرأها المستشرق وغير المستشرق سيصل إلى نتائج خطيرة بل مشوهة بالنسبة إلى عملية جمع القرآن الكريم. ولعلنا نعطي لهذه الرؤية المضللة والباهتة في موضوع جمع القرآن المنطلقة

(١) ينظر تاريخ اليعقوبي جزء ٢ ص ٩١ – ٩٣.

من رواية معركة اليمامة، وعن عدم وجود قرآن أو كتاب مرتب يضمّ القرآن كما سلف ذكره ندلي برواية السيوطي في كتابه الإتقان في علوم القرآن الذي بدوره تردد في كتابه كتاب الدرّ المنثور في التفسير بالمأثور بقوله (عن الثوري أنّه قال: بلغنا أنّ أُناساً من أصحاب النبي كانوا يقرؤون القرآن، أُصيبوا يوم مسيلمة، فذهبت حروف من القرآن)[1].

ثم يستمر السيوطي في الإتقان وكأنه يردد قول الدير عاقولي الذي اعتمده السيوطي في كتابه (الإتقان في علوم القرآن) ونصّه (قَالَ الدير عاقولي فِي فَوَائِدِهِ: حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ بَشَّارٍ حَدَّثَنَا سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ عَنِ الزُّهْرِيِّ عَنْ عُبَيْدٍ عَنْ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ قَالَ: قُبِضَ النَّبِيُّ صَلَّى الله عَلَيْهِ – وَآلِهِ – وَسَلَّمَ وَلَمْ يَكُنِ الْقُرْآنُ جُمِعَ فِي شَيْءٍ. قالَ الْخَطَّابِيُّ: إِنَّمَا لَمْ يجمع الْقُرْآنُ فِي الْمُصْحَفِ؛ لِمَا كَانَ يَتَرَقَّبُهُ مِنْ وُرُودِ نَاسِخٍ لِبَعْضِ أَحْكَامِهِ أَوْ تِلَوَتِهِ، فَلَمَّا انْقَضَى نُزُولُهُ بِوَفَاتِهِ أَلْهَمَ اللهُ الْخُلَفَاءَ الرَّاشِدِينَ ذَلِكَ وَفَاءً بِوَعْدِهِ الصَّادِقِ بِضَمَانِ حِفْظِهِ عَلَى هَذِهِ الأُمَّةِ فَكَانَ ابْتِدَاءُ ذَلِكَ عَلَى يَدِ الصِّدِّيقِ بِمَشُورَةِ عُمَرَ وَأَمَّا مَا أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ مِنْ حَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ – وَآلِهِ – وَسَلَّمَ: [لَا تَكْتُبُوا عَنِّي شَيْئًا غَيْرَ الْقُرْآنِ...] الْحَدِيثَ، فَلَا يُنَافِي ذَلِكَ؛ لأَنَّ الْكَلَمَ فِي كِتَابَةٍ مَخْصُوصَةٍ عَلَى صِفَةٍ مَخْصُوصَةٍ وَقَدْ كَانَ الْقُرْآنُ كُتِبَ كُلُّهُ فِي عَهْدِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ – وَآلِهِ – وَسَلَّمَ لَكِنْ غَيْرُ مَجْمُوعٍ فِي مَوْضِعٍ وَاحِدٍ ولا مرتب السور[2].

فالمبشر جلكرايست وغيره من المستشرقين والمبشرين بكل تأكيد سيبنون على مثل تلك الأقوال مباني كثيرة، وسيؤلونها بتأويلات وتفسيرات تدعم نظرياتهم نظير ما رأه واعتقد به جون ونزبورو وغيره وجلكرايست من واقع القرآن الكريم تاريخيا. فعلى سبيل المثال لماذا أسقط المبشر جلكرايست خلال دراسته المتعبة والجادة رواية اليعقوبي مثلا؟، فهل كان هذا بتأثير؛ لأنه يتصور في كونه، اليعقوبي، شيعيا؟ ومع صحة المعتقد أن له ميولًا

(١) تاريخ اليعقوبي، ص ٩٣.

(٢) فتح الباري، ٨/ ٦٦، (وينظر الإتقان في علوم القرآن) ١/ ١٩٩ – ٢٠٤.

شيعية لكنه عباسي الولاء. وبعد هذا فهل إن هذا الإقصاء يعدّ علميا بالنسبة إلى مستشرق ومبشر لا تملي عليه هذه النعرات الطائفية أية هيمنة؟. فلينظر إلى ما قاله هذا المؤرخ في تاريخ اليعقوبي الذي سبق تاريخ الطبري بحوالي عقد من الزمان. يقول اليعقوبي ما نصّه (وروى البعض أن علي بن أبي طالب كان قد جمعه لما قبض رسول الله صلى الله عليه وآله وأتى به يحمله على جمل فقال هذا القرآن قد جمعته وكان قد جمعه في سبعة أجزاء)[1].

وأضاف إلى ذلك قوله (وقال بعضهم إن عليًّا قال نزل القرآن على أربعة أرباع ربع فينا وربع في عدونا وربع أمثال وربع محكم ومتشابه)[2].

أبعدَ هذا القول الفصل يأتي البخاري، وغيره من أصحاب الصحاح والسنن والمصاحف، والمستشرق والمبشر وغيره بتبيان عدم صدقية القرآن. لقد اكتفيت بتقديم هذه النقطة ولم أتابعها بنقاط مهمة أيضا في الوقت الراهن.

وهناك نقطة أخرى أوردها جلكرايست تلك المتعلقة بالعنوان الذي اختاره للفصل وهو عنوان مثير.

The missing passages of the Qur'n:- Al -Naskh wa Al-Mansukh ; The docrine of Abrogation.

[وترجمته إلى اللغة العربية هي: الآيات المفقودة من القرآن: الناسخ والمنسوخ: أي مبدأ النسخ والإبطال وهذه ترجمة المؤلف للناسخ والمنسوخ، ولكنها لا تعبّر تعبيرا حقيقيا وصحيحا كالتعبير العربي الناسخ والمنسوخ]. وخلال ذكره الآية رقم ٣٢ من سورة الفرقان تلك التي يقول فيها الله سبحانه وتعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَا

(١) فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ٨/ ٦٢.تاريخ الأمم والملوك – الطبري، ٢/ ٢٨٣، والبداية والنهاية، ٦/ ٣٣٠، وتاريخ الإسلام للذهبي في جزء حوادث سنة ١١ – ٤٠ ه ص ٧٣، والكامل في التاريخ، ٢٤-٢/ ٢٤٣، شذرات الذهب، ١/ ٢٣.

(٢) ينظر كتاب الغزوات لابن حبيش، تحقيق ونشر الدكتور أحمد غنيم، الطبعة الأولى ١٤٠٣ هجرية / ١٩٨٣م (ص١٦٠-١٦١).

نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً ۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۖ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا ﴾[1]؛ فالمبشر يتّخذ هذه الآية دليلا واضحا على أن القرآن لم يكن مجموعا في عهد رسول الله صلى الله عليه وآله. وللردّ على ذلك فإن هذه الآية جاءت بحق الكفّار من قريش وردّا على شكوكهم بالنسبة إلى طريقة نزول الوحي ولم تكن بيانا يمكن الاعتماد عليه في بناء هيكلية القرآن برمته. فما بال المبشر بشأن آيات أخرى نظير قوله عزّ وجل: ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴾[2].

فالفعل نزّل عليه الفرقان لا يؤخذ معناها أن الله تعالى نزّل آية برقم ١ من سورة الفرقان فحسب إنّما تعني القرآن جميعه. ثم ليقرأ ما ورد في سورة القيامة ﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴾[3]. وقوله عزّ من قائل: ﴿ الٓر ۚ كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴾[4] وفي آية أخرى من السورة المباركة نفسها قوله تعالى: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٣﴾ فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلْمِ ٱللَّهِ وَأَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾[5].

كذلك نقرأ في سورة يونس ﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾[6].

في الواقع إن المبشر جلكرايست ظلّ متابعا لرواية معركة اليمامة وعدّها هي الرواية

(١) سورة الفرقان، الآية: ٣٢.
(٢) سورة الفرقان، الآية: ١.
(٣) سورة القيامة، الآيات: ١٦-١٩.
(٤) سورة هود، الآية: ١.
(٥) سورة هود، الآيتان: ١٣-١٤.
(٦) سورة يونس، الآية: ٣٨.

الوحيدة التي انطلقت منها جميع استنتاجاته وآرائه وافتراءاته وطعوناته في عدم قدسية القرآن الكريم وفي عدم ألوهيته إذ يقول ما نصّه:

Upon Muhammad 's death a number of tribes in the outer parts of the Arabian peninsula reneged from the faith they had recently adopted. Whereupon Abu Bakr sent a large number of the early Muslims to subdue the revolt forcibly. This resulted in the Battle of Yamama and a number of Muhammad 's close companions، who had received the Qur'an directly from him، were killed. What followed is described in this well-known hadith: [P.10]

ثم أعقب هذه المقدمة ترجمة لنصّ الرواية، رواية معركة اليمامة، التي أطلق عليها المبشر في الخطأ إنها حديثٌ. والواقع فقد حافظ المبشر على ترجمة نصّ رواية البخاري ترجمة جيدة. وبالمناسبة فإنه استند على رواية واحدة من مجموعة متعددة من روايات البخاري ومسلم وأصحاب السنن والتاريخ. وحسبما يظهر أن المبشر في مقدمته أعلاه قد افترض في النصّ المترجم ثمة استنتاجات قابلة للنقاش، بالأخص تلك المتعلقة بنتائج المعركة من أنها أدّت إلى خسائر كبيرة من بين أصحاب النبي صلى الله عليه وآله المخلصين؛ وواقعا فإنّنا لا نملك معلومات دقيقة وإحصائية دقيقة عن ذلك سوى أن الصحابي سالم مولى حذيفة قد استشهد في المعركة. وليتذكر القارئ أن الروايات التي اعتمد فيها الطبري على سيف بن عمر الذي كذّبه علماء التراجم. فقد أحصي من استشهد من المسلمين في هذه المعركة أي اليمامة هم سبعون من القراء كانوا سبعين[1].

قال الحافظ في فتح الباري (وهذا يدل على أن كثيرًا ممن قتل في وقعة اليمامة كان قد

(١) ينظر كتاب الغزوات لابن حبيش، تحقيق ونشر الدكتور أحمد غنيم، الطبعة الأولى ١٤٠٣ هجرية / ١٩٨٣م (ص١٦٠ - ١٦١).

حفظ القرآن)[1].

وعَنْ قَتَادَةَ قال: حَدَّثَنَا أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ أَنَّهُ قُتِلَ مِنهُمْ يَوْمَ أُحُدٍ سَبعُونَ، وَيَوْمَ بِئْرِ مَعُونَةَ سَبعُونَ، وَيَوْمَ الْيَمَامَةِ سَبعُونَ. أمّا من ذكر من الشهداء الصحابة في معركة اليمامة المشهورين ولكن لم يكونوا جميعهم من حفظة القرآن الكريم ولا من القرّاء. ومهما يكن فإن سيف بن عمر قدّم أوصافا لهؤلاء الأبطال ربما تجعل القارئ لهذه الأوصاف يعتقد بأنهم من القرّاء كأن يذكر في صفحة ١٤٦ من (غزوات ابن حبيش) الذي اعتمد كتاب سيف ما نصّه (واستلحم من المسلمين حملة القرآن حتى فنوا إلّا قليلا)، وكذلك ذكر مثل هذا في نصّ آخر قاله خالد بن الوليد (رأيت أهل السابقة وأهل الفضل وأهل القرآن قد قتلوا، ولم يبقَ معي إلّا قوم خشيت أن لا يكون لهم بقاء على السيف لو ألح عليهم، فقبلت الصلح)[2].

فهذه الأوصاف قد يراد بها أن المسلمين المقاتلين هم أهل القرآن وحملة القرآن ولا يقصد به حفظة القرآن أو من القرّاء على وفق ما يفهم من نصّ الحديث الشريف [خذوا القرآن من أربعة...الخ]. وهناك في كتاب الغزوات لابن حبيش قائمة بأسماء الشهداء الأبطال الذين أبلوا بلاءً حسنا في محاربة مسيلمة الكذّاب وجيوشه، والجدير ذكره أن ابن حبيش قد اعتمد اعتمادا كاملا تقريبا على كتاب سيف بن عمر)الفتوح الكبرى والردّة) على عكس ما رواه الطبري عن هذه المعركة التي اعتمدها على سيف بن عمر أيضا ولكنه اعتمدها على طريقين من الرواة الأُوَل منهما على رواية السري بن يحيى عن طريق شيخه شعيب بن إبراهيم التميمي الكوفي فقد ذ كره حوالي عشرين مرة في هذه المعركة لكنه لم يذكر التفاصيل التي ذكرها ابن حبيش؛ لأن هذا كان يمتلك نسخة من كتاب سيف؛ والطبري لم يعتمد على الطريق الآخر للوصول إلى

(١) كتاب الغزوات لابن حبيش، ١٦٠-١٦١.

(٢) م. ن: ١٦٠.

كتاب سيف وهو طريق عبيد الله بن سعد الزهري وعمه يعقوب بن إبراهيم الزهري. والقائمة المفصلة للأبطال الشهداء المذكورين في كتاب ابن حبيش نقلا عن كتاب سيف هم:

أبو حذيفة بن عتبة من بني عبد شمس، وسالم مولى أبي حذيفة، ومخرمة بن شريح، ومن بني أسد شجاع بن وهب، ومن بني أمية الحكم بن سعيد بن العاص، ومن بني أسد بن عبد العزى السائب بن العوام، ومن بني عبد الدار يزيد بن أوس، ومن بني زهرة يغلي بن جارية، ومن بني مخزوم الوليد بن عبد شمس، وحكيم بن أبي وهب، ومن بني عدي بن كعب زيد بن الخطاب وعبد الله بن عمرو وعامر بن البكير، ومن بني سهم عبد الله بن الحارث، وأبو قيس بن الحارث، ومن بني عامر بن لؤي عبد الله بن مخرمة وعبد الله بن سهيل، ومن الأنصار ثابت بن قيس بن شماس، وبشر بن عبد الله، ومن بني عوف عبد الله بن عتبان وعبد الله بن عبد الله بن أبي سلول وثابت بن هزال، وإياس بن ودقة، ومن بني ساعدة أسيد بن النعمان، وسعد بن حارثة[1].

يضاف اليهم كل من الطفيل بن عمرو الدوسي وأبي دجانة سماك بن خرشة وسالم مولى أبي حذيفة وابي حذيفة وعبد الله بن سهيل ثابت بن قيس بن شماس وعبد الله بن عبد الله بن أبي ابن سلول وعباد بن بشر والسائب بن عثمان بن مظعون والسائب بن العوام وعبد الله بن أبي بكر الصديق ومعن بن عدي.

فقد قدّم لنا الذهبي في كتابه سِير أعلام النبلاء وكتب تراجمية أخرى نبذ مهمة عن حياتهم وعن نشاطاتهم في المعارك والغزوات أبان عهد رسول الله صلّى الله عليه وآله كما تقدم ذكره في مقدمة هذا الكتاب. كان الصحابي سالم مولى أبي حذيفة الوحيد بين أولئك الشهداء من تميز بكونه من حفظة القرآن الكريم، ومن أوائل من اعتنق الإسلام،

(١) كتاب الغزوات لابن حبيش: ١٦٠.

وفي حديث لرسول الله صلّى الله عليه وآله إنه قال: «اقْرَءُوا الْقُرْآنَ عَلَى أَرْبَعَةٍ: سَالِمٍ مَوْلَى أَبِي حُذَيْفَةَ، وَمُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ، وَأُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ، وَعَبْدِ اللهَّ بْنِ مَسْعُودٍ» وقيل في رواية أخرى «خذوا القرآن من أربعة: عبد الله بن مسعود، وسالم مولى أبي حذيفة وأبي بن كعب ومعاذ بن جبل».

وفيه قال عمر بن الخطاب وهو على فراش الموت: (لو أدركني أحدُ رجلين، ثم جعلت إليه الأمرَ لوثقت به: سالم مولى أبي حذيفة، وأبو عبيدة بن الجراح).

أمّا زيد بن الخطاب فقيل عنه إنه لم يتخلف عن رسول الله عليه الصلاة والسلام في مشهد ولا في غزوة وحضر معه بيعة الرضوان بالحديبية. وكان ثابت بن قيس خطيب الأنصار، وخطيب النبي صلّى الله عليه وآله. واشتهر أبو دجانة ببطولاته في المعارك والغزوات، وكانت له عصبة حمراء يعتصب بها متى اشتدت الأمور، وكان الأنصار يسمونها (عصبة الموت). إن سيّر حياة هؤلاء الصحابة الشهداء كانت بطولية في نصرة الإسلام، وقد شهد أكثرهم مغازي رسول الله صلى الله عليه وآله وقاتلوا ببسالة أعداء الإسلام، وقدموا أرواحهم في معركة اليمامة، لكنهم ما عدا سالم مولى أبي حذيفة، لم يكونوا من حفظة القرآن الكريم وقرّائه. وهي النقطة المهمة جدا في قولبة رواية معركة اليمامة، وفي التأسيس للأسباب التي حدت بالخليفة الأول بمؤازرة وبتأييد من الخليفة الثاني وبالتنسيق مع الصحابي زيد بن ثابت. فأسباب بناء نظرية استشهاد قرّاء القرآن الكريم وحفظته على وفق ذلك باتت معرضة للنقد والتفنيد الذاتي فضلا عن إنها ضربة سديدة وموجهة إلى المستشرقين وغير المستشرقين من المبشرين من الذين يثيرون الشكوك دائما عن وضعية القرآن الكريم، وكونه غير متكامل وسوره وآياته غير مرتبة بله غير موجودة أو غير مكتوبة. على أية حال فقد تأسست هذه المنهجية العرجاء إلى درجة أن جعلت هذا المبشر جلكرايست يركز على تناقضات رواية المعركة (معركة

اليمامة) للتدليل على أنه. ليس هنالك أي قرآن مجموع في عهد رسول الله صلى الله عليه وآله. إذ يقول ما نصّه:

"Regarding the written materials as to exactly how much of the Qur'an was reduced to writing during the lifetime of Muhammad. There is certainly no evidence to suggest that anyone had actually compiled the whole text of the Qur'an into a single manuscript، whether directly under Muhammad's express authority or otherwise، and from the information we have the collection of the Qur'an after his death (which we shall shortly consider)، we must rather conclude that the Qur'an had never been codified or reduced to writing in a single text. [P.9])

فالآراء التي تضمنها هذا النصّ تدل بوضوح على أن المبشر قد فشل في متابعاته البحثية وفشل أيضا في ملاحقة النصوص والاستشهادات المبثوثة هنا وهناك في المؤلفات الفقهية والأدبية وفي الدواوين وفي المؤلفات اللغوية بمعنى المعاجم اللغوية وفي المؤلفات الشيعية؛ فإنه لا يعتمد ولا يركن سوى على رواية واحدة غير متوازنة في نسيجها الداخلي، فوقع في منزلق منهجي بحثي خطير، وهو من أبسط قواعد المنهج البحثي الرزين والأمين، ذلك الذي يناقش موضوعا مهما للآخر كالحالة في جمع القرآن الكريم؛ لهذا لعله يجد مجابهات عاطفية غير متوازنة كالتي واجهها مع هذه النخبة من العلماء المسلمين غير المطلعين على تراث الأمة العربية الإسلامية سوى من زاوية ضيقة. فهناك دلائل على أن الرسول صلى الله عليه وآله كان يعطي الإيعاز إلى كتّاب الوحي بعد نزول الوحي بجعل هذه الآية في المكان الفلاني من السورة الفلانية؛ دلائل أخرى على متابعاته الكتّاب عند كتابتهم الآيات المذكورة آنفا والرواية المتعلقة بزيد بن ثابت خير دليل على ذلك.

وللمسلمين الشيعة رأي في ما تسمى بحروب الردة التي ركّزت عليها قصة سيف

بن عمر وتداولتها رواية معركة اليمامة عند البخاري ومسلم وغيرها من المصادر السنيّة. إذ روي أن أمير المؤمنين عليه السلام لم يكن يؤيد حروب الردة التي شنها الخليفة ضد مالك بن نويرة وقومه، بل لم تكن تلك الحروب بحسب نظر الإمام عليه السلام حروب ردة كما كانت تدعى، وكان موقف مالك بن نويرة من عدم تسليم الزكاة إلّا إلى الخليفة الشرعي، فهو لم يمتنع عن تسليم الزكاة عن عدم اعتقاد بفريضة الزكاة كما تمّ تصويرها، بل لم يشأ تسليمها إلا لمن يستحقها وهو الخليفة الشرعي المنصوص عليه من قبل الله ورسوله..وتبعا لذلك فإن أمير المؤمنين عليه السلام لم يرتض ما فعله خالد بن الوليد من قتل مالك، وتبرأ إلى الله تعالى من فعله، ولولا الوضع الذي وضع فيه من قبل مؤتمر السقيفة؛ لأقام عليه الحد. فمالك بن نويرة اليربوعي التميمي، سيد من سادات قبيلة تميم في عهد النبي محمد صلى الله عليه وآله. وقد أدرك الإسلام وأسلم وولاه رسول الله صدقات قومه (بني يربوع)، وبعد وفاة الرسول امتنع عن دفعها. إنَّ مالك بن نويرة من كبار بني يربوع من بني تميم، وصاحب شرف رفيع وأريحية عالية بين العرب، حتى ضرب به المثل في الشجاعة والكرم والمبادرة إلى إسداء المعروف والأخذ بالملهوف. كانت له الكلمة النافذة في قبيلته، حتى أنه لما أسلم ورجع إلى قبيلته وأخبرهم بإسلامه، وأعطاهم فكرة عن جوهر هذا الدين الجديد، أسلموا على يديه جميعاً ولم يتخلف منهم رجل واحد. كان قد نال منزلة رفيعة لدى النبي صلى الله عليه وآله حتى نصبه وكيلاً عنه في قبض زكاة قومه كلها، وتقسيمها على الفقراء، وهذا دليل وثقاته واحتياطه وورعه. وكانت وصية الخليفة الأول أن يؤذّنوا إذا نزلوا منزلًا فإن أذّن القوم فكفّوا عنهم وإن لم يؤذّنوا فاقتلوا وإن أجابوكم إلى داعية الإسلام فاسألوهم عن الزكاة فإن أقروا فاقبلوا منهم وإن أبوا فقاتلوهم. فجاء خالد بن الوليد بمالك بن نويرة في نفر من بني ثعلبة بن يربوع فاختلفت السرية فيهم وكان فيهم أبو قتادة فكان فيمن شهد أنهم قد أذّنوا

وأقاموا وصلوا، فلما اختلفوا أمر بهم فحبسوا في ليلة باردة لا يقوم لها شيء، فأمر خالد مناديًا فنادى: (أدفئوا أسراكم)، وهي في لغة قبيلة كنانة القتل وكنانة قبيلة خالد، فظن القوم أنه أراد القتل ولم يرد إلا الدفء فقتلوهم، فقتل ضرار بن الأزور مالكًا. وتزوج خالد أم تميم امرأة مالك. وغاية ما يقول العلماء عن قصة مالك بن نويرة أن خالد بن الوليد تأول فأخطأ، ولا سيما أن مالك بن نويرة منع الزكاة بعد موت رسول الله صلى الله عليه – وآله – وسلم ومنع قومه من دفع الزكاة إلى أبي بكر فضلا عن علاقة مشبوهة واضحة تمت بينه وبين سجاح التي ادعت النّبوّة. يقول الذهبي: فالقوم لهم سوابق وأعمال مكفرة لما وقع بينهم وجهاد محّاء وعبادة ممحّصة ولسنا ممن يغلو في أحد منهم ولا ندعي فيهم العصمة.ما أن الروايات الموجودة في مؤلفات السيّر يجب أن تدقق ويعرف سندها ورواتها[1].

وليس هنالك سوى روايات شفاهية بشأن جمع القرآن. ورأي المبشر في هذا الإتجاه غير صائب أيضا؛ لأن هناك دلائل عن الكتابة كما تم عرضه في أعلاه. وهناك معيار علمي لمفهوم الرواية الشفاهية وهي الرواية والكتابة. راجع عن هذه النقطة بحسب ابن حجر العسقلاني وغيره، وذلك بغية الرد على رأي المبشر منها تشديد النبي على ميدأ الحفظ (قوله ليس هنالك إلّا القليل من الصحابة ممّن كان يكتب إلّا كتّاب الوحي وهم نخبة كانوا يعرفون القراءة والكتابة.

ث – (وقوله إنه ليس هنالك سوى العسب والعظام كأدوات للكتابة. ورأي المستشرق غير صائب تماما؛ لوجود روايات عدّة عن الكتابة بالورق والقراطيس وأيضًا هناك دلائل على أن القرآن الذي سلّمه رسول الله إلى الإمام علي كان على الورق ومربوط بخيط.

(١) هذا ما ذكره ابن حجر في الإصابة وابن الأثير في الكامل في التاريخ، الجزء الثالث، ص ٢١٧ ؛ سير أعلام النبلاء ٩٣ / ١٠؛ ابن حجر الإصابة ٣/ ٣٥٧.ينظر صحيح مسلم جزء ٢صفحة حديث ١٣٤٢.

ج -(كان عمل زيد متناقضا فيبنما هو من كتاب الوحي وإذا به ينسى آية أو آيات من الذكر الحكيم. ولعله من المفيد كتابة النصّ باللغة الإنجليزية للتدليل على صحة رأي المبشر في تردد زيد تحمل أعباء هذا المشروع، مشروع جمع القرآن، الضخم من جهة، وفي عدم قدرته؛ لأنه لم يكن حافظا جيدا للقرآن كالذي تميز به الصحابة الآخرون أمثال الإمام علي عليه السلام والصحابي عبد الله بن مسعود والصحابي أبي بن كعب كما تبينه روايات كتّاب الرجال والتراجم. فيقول المبشر:

"Zaid's hesitation about the task، partly occasioned by Muhammad's own disinterest in codifying the text into a single unit and partly by the enormity of it، shows that it was not going to be an easy undertaking.If he was a perfect hafiz of the Qur'an and knew the whole text off by heart، nothing excepted، and if a number of the other companions were also endowed with such outstanding powers of memorization، the collection would have been quite. He needed only to write it down out of his own memory and have the others check. If Zaid and the other qurra (memorisers) each knew، by divine assistance and purpose، the whole Qur'an to the last letter without any error or omission - this is the Muslim hypothesis - we would hardly have found him ıresponding to the appeal to collect the Qur'an as he did. Instead of immediately turning to his memory alone he made an extensive search for the text from a variety of sources. This was not the action of a man believing he had divinely endowed with an infallible memory upon which he could exclusively rely but rather of a careful scribe who was going to collect the Qur'an from all the possible sources where it was known to be، from scraps. (P. 10)

فالمبشر في هذا النصّ المهم يشكك في قدرة الصحابي زيد بن ثابت على الحفظ عن ظهر قلب لآيات الله تعالى وإلّا فأنه لن يضطر إلى أن يشرع في متابعة هذا المشروع الضخم والحيوي في حياة المجتمع الإسلامي، وفي هذه الحقبة المبكرة من عمره بعد موافقته على رأي الخليفة بالبحث والتفتيش عن العسب والحجارة، وغير ذلك بغية جمع القرآن. وهكذا الحال بشأن عدد آخر من النقاط التي تناولها المبشر في هذا الكتيب. الكتيب الذي تفحص بعناية دقيقة اضطراب الرواية التي يعوّل عليها كثير جدا من الباحثين عندما يكون الأمر يتعلق بالكيفية التي تحدثنا فيه رواية الصحاح والسنن بخصوص جمع القرآن على حرف الصحابي زيد بن ثابت.

ولعلنا نستشرف من دراسة المبشر بلزوم تمحيص هذه الرواية والروايات الأخرى المماثلة لها، تلك التي صارت عباءة لتفسير عدد من الأحاديث المهمة جدا في تاريخ السيرة النبوية المطّهرة من أجل أن لا نعرض بكتاب الله العزيز الذي أنزله الوحي الأمين على رسول الأمة صلى الله عليه وآله، وأن نعتمد آيات الذكر الحكيم فقط تلك التي تبين كيفية النزول والصيغة التي نزل فيها بأكمله كما بينت الآيات التي اعتمدناها من سورة القيامة الكريمة والآيات الأخرى؛ فضلا عن الأحاديث الشريفة ولاسيما أحاديث الأئمة الأطهار عليهم السلام التي تؤكد ما جاء به الوحي؛ وعلى الروايات الأخرى المتوافرة في المؤلفات الشيعية والأدبية والفقهية تلك التي تخالف رواية معركة اليمامة من أن الإمام عليًّا عليه السلام قد حمل إلى القوم الموجودين في المسجد الجامع في المدينة المنورة القرآن الذي سلّمه إياه رسول الله صلى الله عليه وآله بالصيغة التي عارضها رسول الله مع الملك جبرئيل عليه السلام في العرضة الأخيرة قبل وفاته عليه السلام، وهذا ما تحدثت به رواية زوجة النبي عائشة عن أنه صلى الله عليه وآله وسلم سرّها بسريّن أحدهما بخصوص العرضتين الأخيرتين للقرآن الكريم مع الملك جبرئيل

عليه السلام. فهذا الأمر يتطلب منّا – نحن المسلمين – أن نقف بشدة ضدّ من يتصور، انطلاقا من رواية معركة اليمامة، بأن القرآن الكريم لم يكن موجودا بل لم يكن مكتوبا في عهد الرسول الكريم صلى الله عليه وآله وسلم بل لم يكن محفوظا، وأن أول من جمعه هو الخليفة أبو بكر أو الصحابة سالم مولى حذيفة أو زيد بن ثابت.

وخلاصة المواقف لهذه المجموعة من المستشرقين والمبشرين، وغيرهم ممّن استنتج عدم قدسية القرآن الكريم، وبأنه غير منزل من الله تعالى، وأنه من تأليف أو جمع النبي (حاشاه الله) لم يقدّموا أي دليل أو بيّنة واضحة فيما عدا تلك التقولات والمزاعم ومثل تلك التفسيرات التي كما تبدو لأي باحث لا تستند إلى وقائع تاريخية إسلامية أو غير إسلامية؛ وهي كما أشرنا في أعلاه لا تعدو أكثر من الادعاءات التي كان يكرّرها الكفّار القريشيون في مكة عند نزول الوحي: إن كان في زعمهم أنَّ القرآن ما هو إلّا أساطير الأولين وبأن الرسول شاعر أو كاهن أو مجنون. وفي القرآن الكريم آيات بيّنات تردّ على مزاعم هذا المبشر وغيره، تلك المتواجدة في سورة النّحل وسور أخرى كقوله تعالى ﴿وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مُفْتَرٍۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾ قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿١٠٢﴾ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌۗ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ ﴿١٠٣﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ لَا يَهْدِيهِمُ ٱللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[1].

وتفسير هذه الآيات في مؤلفات التفسير كما هو واضح في أسباب نزول الآية الأولى قد نزلت حين قال المشركون: إن محمدًا يسخر بأصحابه يأمرهم اليوم بأمر وينهاهم عنه غدًا أو يأتيهم بما هو أهون عليهم؛ وما هو إلا مفتر يقوله من تلقاء نفسه فأنزل الله تعالى

(١) سورة النحل، الآيات: ١٠١-١٠٤.

هذه الآية والتي بعدها)[1].

أمّا تفسيرها فقال عَبْدُ اللهِ بنُ وَهْبٍ المَصْرِيُّ (ت١٩٧هـ): (باب الناسخ: وهذا كتاب الناسخ والمنسوخ وأخبرني القاسم بن عبد اللهّ بن عمر بن حفص بن عاصم بن عمر بن الخاطب عن زيد بن أسلم أنّه قال: قال اللهّ ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ﴾[2]؛ وقال الله: ﴿وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءَايَةً﴾، ﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ﴾، وقال الله تعالى ﴿يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ ۖ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ﴾[3])[4].

فقال زيدٌ: فأوّل ما نسخ من القرآن نسخت القبلة؛ كان محمّدٌ رسول اللهّ صلّى اللهّ عليه وآله وسلّم يستقبل صخرة بيت المقدس، وهي قبلة اليهود، سبعة عشر شهرًا ليؤمنوا به، ويتبعونه وينصرونه من الأمّيّين من العرب؛ فقال اللهّ عزّ من قائل ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾[5]؛ ثمّ قال (قد نرى تقلّب وجهك في السّماء فلنولّينّك قبلةً ترضاها فولّ وجهك شطر المسجد الحرام)[6].

وقالَ عَبْدُ الرَّحْمنِ بنُ الحَسَنِ الهَمَذَانِيُّ (ت٣٥٢هـ) (حدثنا إبراهيم نا آدم نا ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله ﴿وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءَايَةً﴾ يقول رفعناها وأنزلنا غيرها)[7].

وبخصوص الآيتين ١٠٣، ١٠٤، فأسباب نزولها حسب كتب التفسير (قالَ عَلِيُّ بْنُ أَحْمَدَ الوَاحِدِيُّ (ت٤٦٨هـ) قوله تعالى ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ﴾[8] لسان الذي يلحدون إليه أعجمي...الخ الآية الكريمة) وأخبرنا أبو نصر أحمد

(١) أسباب النزول: ٢٨٧.
(٢) سورة البقرة، الآية: ١٠٦.
(٣) سورة الرعد، الآية: ٣٩.
(٤) ينظر: الجامع في علوم القرآن: ٣/ ٦٤.
(٥) سورة البقرة، الآية: ١١٥.
(٦) ينظر الجامع في علوم القرآن: ٣/ ٦٥.
(٧) تفسير مجاهد: ٣٥٢.
(٨) سورة النحل، الآية: ١٠٣.

بن إبراهيم المزكي قال: أخبرنا أبو عبد الله محمد بن حمدان الزاهد قال: أخبرنا عبد الله بن محمد بن عبد العزيز قال: حدثنا أبو هشام الرفاعي قال: حدثنا ابن فضيل قال: حدثنا حصين عن عبد الله بن مسلم قال: كان لنا غلامان نصرانيان من أهل عين التمر)[1].

اسم أحدهما: يسار والآخر: (جبر وكانا صيقلين يقرآن كتبًا لهما بلسانهم وكان رسول الله صلى الله عليه - وآله - وسلم يمرّ بهما فيسمع قراءتهما فكان المشركون يقولون: يتعلم منهما فأنزل الله تعالى فكذبهم إذ قال تعالى: ﴿لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلۡحِدُونَ إِلَيۡهِ أَعۡجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ﴾)[2].

قالَ جَلالُ الدِّينِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أبي بَكْرٍ السُّيُوطِيُّ (ت٩١١هـ): (قوله تعالى ﴿وَلَقَدۡ نَعۡلَمُ أَنَّهُمۡ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌۗ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلۡحِدُونَ إِلَيۡهِ أَعۡجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ﴾، أخرج ابن جرير بسند ضعيف عن ابن عباس قال كان رسول الله صلى الله عليه - وآله - وسلم يعلم قينا بمكة اسمه بلعام وكان أعجمي اللسان، وكان المشركون يرون)[3]. رسول الله صلى الله عليه - وآله - وسلم كان يدخل عليه وحين يخرج من عنده، فقالوا: إنما يعلمه بلعام، فأنزل الله تعالى ﴿وَلَقَدۡ نَعۡلَمُ أَنَّهُمۡ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ﴾.

وأخرج ابن أبي حاتم عن طريق حصين عن عبد الله بن مسلم الحضرمي قال: كان لنا عبدان: أحدهما يقال له يسار، والآخر جبر، وكانا صقليين فكانا يقرآن كتابهما ويعلمان علمهما، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يمر بهما فيستمع قراءتهما، فقالوا: إنما يتعلم منهما، فنزلت)[4].

(١) أسباب النزول: ٢٨٧.
(٢) م. ن: ٢٨٨.
(٣) لباب النقول: ١٥٧.
(٤) م. ن: ١٥٨.

قَالَ مُقْبِلُ بنِ هَادِي الوَادِعِيُّ: (قوله تعالى ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌۗ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ﴾[1]. قال ابن جرير: [أنه كان لهم عبدان من أهل غير اليمن وكانا طفلين وكانا يقال لأحدهما يسار والآخر جبر فكانا يقرآن التوراة وكان رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ربما جلس إليهما، فقال كفّار قريش: إنما يجلس إليهما يتعلم منهما، فأنزل الله سبحانه وتعالى ﴿لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ﴾.

وفي تفسير البغوي لقوله تعالى ﴿قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾[2].

﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌۗ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ﴾ (قل نزّله) يعني القرآن، (روح القدس) جبريل، (من ربك بالحق) بالصدق، (ليثبت الذين آمنوا) أي: ليثبت قلوب المؤمنين ليزدادوا إيمانا ويقينا، (وهدى وبشرى للمسلمين ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر) آدمي، وما هو من عند الله، واختلفوا في هذا البشر: قال ابن عباس: كان رسول الله صلى الله عليه – وآله – وسلم يعلم قينا بمكة، اسمه (بلعام)، وكان نصرانيا، أعجمي اللسان، فكان المشركون يرون رسول الله صلى الله عليه – وآله – وسلم يدخل عليه ويخرج، فكانوا يقولون إنما يعلمه (بلعام). وقال عكرمة: كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقرئ غلاما لبني المغيرة يقال له (يعيش) وكان يقرأ الكتب، فقالت قريش: إنما يعلمه (يعيش). وقال الفراء: قال المشركون إنما يتعلم من عايش مملوك كان لحويطب بن عبد العزى، وكان قد أسلم وحسن إسلامه، وكان أعجم اللسان. وقال ابن إسحاق:

(١) ابن جرير [١٤ / ١٧٨]. حدثني المثنى قال: حدثنا عمرو بن عون قال: أخبرنا هشيم عن حصين هو ابن عبد الرحمن عن عبد الله بن مسلم الحضرمي الصحيح المسند في أسباب النزول: ١٤٠.

(٢) سورة النحل، الآية: ١٠٢.

كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيما بلغني كثيرا ما يجلس عند المروة إلى غلام رومي نصراني، عبد لبعض بني الحضرمي، يقال له (جبر)، وكان يقرأ الكتب. وقال عبد الله بن مسلم الحضرمي كان لنا عبدان من أهل عين التمر يقال لأحدهما يسار، ويكنى (أبا فكيهة)، ويقال للآخر (جبر) وكانا يصنعان السيوف بمكة، وكانا يقرآن التوراة والإنجيل، فربما مر بهما النبي صلى الله عليه – وآله – وسلم، وهما يقرآن، فيقف ويستمع. قال الضحاك: وكان النبي صلى الله عليه – وآله – وسلم إذا آذاه الكفار يقعد إليهما ويستروح بكلامهما، فقال المشركون: إنما يتعلم محمد منهم، فنزلت هذه الآية[1]. قال الله تعالى تكذيبا لهم: ﴿لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلۡحِدُونَ إِلَيۡهِ﴾ أي يميلون ويشيرون إليه، ﴿أَعۡجَمِىٌّ﴾ (الأعجمي) الذي لا يفصح وإن كان ينزل بالبادية، والعجمي منسوب إلى العجم، وإن كان فصيحا، والأعرابي البدوي، والعربي منسوب إلى العرب، وإن لم يكن فصيحا، ﴿وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ﴾ فصيح وأراد باللسان القرآن، والعرب تقول: اللغة لسان، وروي أن الرجل الذي كانوا يشيرون إليه أسلم وحسن إسلامه[2].

والمعروف أنَّ الكفّار من أهل مكة من القريشيين كانوا ينعتون النبي صلّى الله عليه وآله بأنه شاعر، وهي ذات الحالة التي ترددت على لسان عدد من المستشرقين ممّن أراد أن يبين أثر الترنيمات المسيحية أو التراتيل المسيحية للسريان قبل الإسلام على آيات الكتاب العزيز. والشعراء كما وصفهم القرآن في أحد آياته الكريمة يتبعهم الغاوون، فمسألة الميتافيزيقيا التي ذكرها مكسيم رودنسن وغيره على سبيل المثال تكرار لعنصري الشعر والجنون والكهانة التي نعت فيها المكيون من الكفّار رسول الله صلّى الله عليه وآله.

أقول: إن هذه الإدعاءات هي محض افتراءات وشبهات غير علمية ولا منضبطة. ولعل مردّها هو تلكم المرويات التي وردت بصيغة أحاديث، وهي ليست أحاديث

(١) سورة ص، الآية: ٤٥.

(٢) ينظر الحسين بن مسعود البغوي: تفسير البغوي (معالم التنزيل) طبعة دار طيبة) جزء ٥ صفحة ٤٤.

نبوية إنّما مرويات أوردها هذا الراوية أو ذاك، وجاء البخاري أو الذي أخرج لنا صحيحه فاقتبسها ورواها بقضها وقضيضها، وهو يعلم فداحة خطورتها بالنسبة إلى من يقرأها من العرب والمسلمين والأجانب، فكيف هو الحال إذا ما قرأها وانتفع منها المستشرق والمبشر على حدّ سواء.

وفي أدناه محتويات كتاب جلكرايست (جمع القرآن)

١. المحتويات (CONTENTS).

المقدمة (Introduction).

السيوطي الإتقان في علوم القرآن (Photocopy: As–Suyuti's –Al–Itqan Fii Ulum al–Qur'an»).

المصادر والهوامش (Sources and References).

٢. مخطوطات القرآن (Photocopy: Qur'an manuscripts in the early al–Ma'il script).

الجمع الأوّل للنص القرآني (THE INITIAL COLLECTION OF THE QUR'AN TEXT).

تطور القرآن خلال حياة محمد (The Qur'an's Development During Muhammad's Lifetime).

الجمع الأول تحت عهدة أبي بكر (The First Collection of the Qur'an Under Abu Bakr).

وجهات نظر عن الجمع الأول (Perspectives on the Initial Collection of the Qur'an).

الآيات المفقودة والموجودة عند أبي خزيمة (The Missing Verses Found with Abu Khuzaimah).

تباين في أساليب القرآن في وقت مبكر في الخط الكوفي (Photocopy: A contrast

(in early Qur'an styles in Kufic script).

التنقيح العثماني للقرآن (THE UTHMANIC RECENSION OF THE QUR'AN).

هل كان لمصحف أبي بكر وضع رسمي؟ (Did Abu Bakr's Codex have Official Status–).

أوامر عثمان بحرق المصاحف الأخرى (Uthman's Order to Burn the Other Codices).

مصحف زيد المنقح للقرآن (The Revision of Zaid's Codex of the Qur'an).

النصّ القرآني كما وحده عثمان (The Qur'an Text as Standardised by Uthman).

المخطوطات القرآنية الأولى مكتوبة بالخط الكوفي (Photocopy: Early Qur'an manuscripts written in Kufic script).

٣. القسم الثالث:

مصاحف عبد الله بن مسعود وأبي بن كعب (THE CODICES OF IBN MAS'UD AND UBAYY IBN KA'B).

عبد الله بن مسعود:ثقة بخصوص النصّ القرآني (Abdullah ibn Mas'ud: An Authority on the Qur'an Text).

ردّ فعل ابن مسعود على أوامر عثمان (Ibn Mas'ud's Reaction to Uthman's Decree).

القراءات المختلفة في مصحف مسعود (The Variant Readings in Ibn Mas'ud's Codex).

أبي بن كعب: سيد القرأء في تلاوة القرآن (Ubayy ibn Ka'b: Master of the Qur'an Reciters).

صفحات من في الخط الكوفي المألوف من مجموعة القرآن المبكر (Photocopy:

.(Pages in traditional Kufic script from early Qur'ans

٤. القسم الرابع:

الآيات المفقودة من القرآن (THE MISSING PASSAGES OF THE QUR'AN).

المصحف: التدوين غير الكامل للنصّ القرآني (The Mushaf: An Incomplete Record of the Qur'an Text).

الناسخ والمنسوخ: عقيدة النسخ (Al–Naskh wa Al–Mansukh: The Doctrine of Abrogation).

الآيات المفقودة حول جشع الإنسان (The Missing Verse on the Insatiable Greed of Man).

عمر وآيات الرجم في الزنا (Umar and the Verses of Stoning for Adultery).

نصوص قرآنية متباينة في الخطوط الكوفية والمشق (Photocopy: Qur'an texts in contrasting Kufic and Mashq scripts).

٥. القسم الخامس:

سبعة أحرف: القراءات السبعة المختلفة (SAB'AT–I–AHRUF: THE SEVEN DIFFERENT READINGS).

السبعة أحرف في أدب الحديث (The Sab'at–i–Ahruf in the Hadith Literature).

فترة الإختيار في القراءات (The Period of Ikhtiyar: The –Choice– of Readings).

الفصل السادس: جون برتون وجون جلكرايست وعملية جمع القرآن

تعريف ابن مجاهد الأخير للسبعة أحرف (Ibn Mujahid's Final Definition of the Seven Ahruf).

انعكاسات ذلك على النصّ القرآني (Reflections on the Unification of the Qur'an Text).

أساليب مختلفة في الخط الكوفي في القرن التاسع لنصوص القرآن (Photocopy: Different styles in Ninth Century Kufic Qur'an texts).

٦. القسم السادس: تجميع القرآن في المنظور (THE COMPILATION OF THE QUR'AN IN PERSPECTIVE).

الدليل القرآني على إتمامه (The Qur'an's Testimony to its own Compilation).

نسخة من القرآن في مسجد النبي؟ (A –Master Copy of the Qur'an– in the –Masjid an–Nabi–).

عرض لتاريخ النصّ القرآني (A review of the History of the Qur'an Text).

صفحات متباينة من مخطوطة قرآن سمرقند بالخط الكوفي (Photocopy: Contrasting pages from the Samarqand Kufic Qur'an).

٧. القسم السابع: المخطوطات القرآنية المبكرة المتواجدة (THE EARLY SURVIVING QUR'AN MANUSCRIPTS).

التطور الأولي لكتابة النصّ (The Initial Development of the Written Text).

خطوط الكوفي والمشق والخطوط الأخرى (Kufic، Mashq، and the Other Early Qur'anic Scripts).

دراسة حول مصاحف توبكوبري وسمرقند (A Study of the Topkapi and Samarqand Codices).

صفحات أخرى من مصحف سمرقند بالخط الكوفي (Photocopy: Further pages from the Samarqand Kufic codex).